الوعي

جامعية - فكرية - ثقافية

السنة التاسعة والثلاثون
جمادى الأولى-جمادى الآخرة ١٤٤٦هـ
كانون الأول-كانون الثاني ٢٠٢٥م

العددين
٤٦٠
٤٦١

كلمة الوعي

ثورة الشام المباركة
تمثل حالة فريدة في التاريخ وتؤكد قرب انبعاث الأمة من جديد

الدين منهج حياة يضبط العلاقة بين الخالق والمخلوق ص ٧

الحضارة الغربية في طور الإشراف على السقوط والانهيار ص ٢١

أين أنتم يا علماء المسلمين ؟! ص ٣٤

دعم عربي لـ(إسرائيل) وخذلان لأهل غزة ص ٥١

الانقسام الأمريكي يتعمق ص ٢٩

الوعي

جامعية - فكرية - ثقافية

مجلة الوعي تصدر غرة كل شهر قمري عن ثلة من الشباب الجامعي المسلم في لبنان
بترخيص رقم «١٦٦» صادر عن وزارة الإعلام اللبنانية بتاريخ ١٩٨٩/١١/١٥

www.al-waie.org Subjects@al-waie.org

العددين
٤٦٠
٤٦١

السنة التاسعة والثلاثون
جمادى الأولى-جمادى الآخرة ١٤٤٦
كانون الأول-كانون الثاني ٢٠٢٥م

المحتويات

• كلمة الوعي: ثورة الشام المباركة تمثل حالة فريدة في التاريخ وتؤكد قرب انبعاث الأمة من جديد ٣

• الدين منهج حياة يضبط العلاقة بين الخالق والمخلوق ٧

• الحضارة الغربية في طور الإشراف على السقوط والانهيار ٢١

• الانقسام الأمريكي يتعمق ٢٩

• أين أنتم يا علماء المسلمين ؟! ٣٤

• أخبار المسلمين في العالم ٣٧

• القرآن الكريم: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ... ﴾ ٤١

• رياض الجنة: الثبات وتحمل الشدائد

(بعض ما لقي رسول الله ﷺ من قومه من العذاب والأذى) ٤٥

• كلمة أخيرة+غلاف أخير: دعم عربي لـ(إسرائيل) وخذلان لأهل غزة ٥١

ثمن النسخة

لبنان	٢٠٠٠ ل.ل.
اليمن	٣٠ ريال
تركيا	١$ أميركي
باكستان	١$ أميركي
أستراليا	٢,٥$
أميركا	٢,٥$
كندا	٢,٥$
ألمانيا	٢,٥ يورو
السويد	١٥ كرون
بلجيكا	١ يورو
بريطانيا	١ يورو
سويسرا	٢ فرنك
النمسا	١ يورو
الدانمرك	١٥ كرون

ثورة الشام المباركة تمثل حالة فريدة في التاريخ وتؤكد قرب انبعاث الأمة من جديد

بقلم: أحمد معاز

يشهد العالم أحداثًا متلاحقة بشكل كبير تكشف عن تغيرات لا بد قادمة على الساحة الدولية والإقليمية، فالأوضاع في كل دول العالم غير مستقرة وكأن العالم ينتظر حدثًا عظيمًا قادمًا يقلب موازين الأرض ويغير التاريخ، وخصوصًا نحن الذين نعيش في قلب العالم القديم في الشام التي احتدمت معركتها بشكل كبير في ظل اصطفاف الأصدقاء بجانب الأعداء بشكل واضح جلي مع نظام الإجرام ضد ثورتنا.

فمنذ انطلاق الربيع العربي قبل ١٤ عامًا والعالم يشهد تغيُّرات كبيرة متسارعة على كافة المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ولم تستطع الولايات المتحدة الدولة الأولى في العالم احتواء هذه التغيُّرات بالشكل المطلوب للحفاظ على تفوقها رغم امتلاكها كل القوة اللازمة، بل إنها تعاني كما غيرها، ولم تجد الحل لمشاكلها الاقتصادية المتفاقمة وبروز العنصرية كمرض يتفشى بشكل كبير وما يسببه من انقسام مجتمعي أفقيًّا وعاموديًّا وتعجز عن علاجه، بل جرفها إلى مستنقعٍ لن تخرج منه كما كانت رغم القدرة الكبيرة والهامش الكبير في حرية المناورة الفكرية المتجمدة منذ عام ٢٠٠٨م بعد الأزمة المالية التي ضربتها وضربت الاقتصاد العالمي الذي هو عصب الحياة، والعجز عن إيجاد الحلول للخروج من الأزمة، بل وكأنه قد تم اتخاذ قرار بالتعايش مع هذه الأزمة في ظل غياب الحل وازدياد التضخم العالمي في محاولة للاستمرار على رأس دول العالم. ويعود السبب في كل ذلك للأزمة الفكرية التي يعيشها العالم ودخول المبدأ الرأسمالي في مرحلة الجمود الفكري كحال جميع الأمم السابقة التي تبدأ مرحلة الانحطاط المؤدي للسقوط بتجمد التفكير وعدم القدرة على إيجاد الحلول الحقيقية لمعالجة المشاكل، وجميع المفكرين أقروا بأن المبدأ الرأسمالي القائم على عقيدة فصل الدين عن الحياة يحمل بذور فشله في أساسه، لكن الجشع وحب التسلط ومعاندة قدر الحياة الإنسانية كما كل طغاة الأرض وفراعنتها عبر التاريخ لا يرون ولا يشعرون بل ولا يصدِّقون حقيقة أنهم

يغرقون ولا يستطيعون تقدير واقعهم وإلى أي مدى ومنسوب وصل غرقهم، وهذا هو واقع الحال رغم التفوق العلمي والتكنولوجي، ولنا في الأمم السابقة خير دليل على ذلك، فالفراعنة سقطوا وهم في قمة تقدمهم العلمي، وفرعون قتل وهو في أقوى حالاته وانتصر سيدنا موسى عليه السلام وقومه في قمة ضعفهم وقلة حيلتهم، والروم والفرس تمت إزاحتهم عن عرش العالم وهم في قمة قوتهم وتقاسمهم العالم، وهذا قدر التغيير وسنته في هذه الحياة.

فالدولة الأولى عندما تصل إلى مرحلة الحسم العسكري لكل قضاياها السياسية فهي تعلن فشلها وقرب نزولها عن عرش الدولة الأولى في العالم وهي راغمة. ولأنه ليس هناك قوة منافسة والضعف هو سيد الموقف الدولي المصبوغ بصبغة رأسمالية ليبرالية واحدة فإن ما ينطبق على الدولة الأولى ينطبق على باقي الدول الكبرى المرشحة للمنافسة، وبسبب العقم الحضاري الذي نعيشه منذ عقود يظهر للعلن حاجة البشرية للتغيير رغم المحاولات الحثيثة لتغطية هذا العجز وتفشي الظلم في العالم وبروز مبدأ وقانون الغاب بشكل واضح، ما يسدل الستار عن اقتراب نهاية مرحلة من أسوأ مراحل البشرية ودوران عجلة التغيير بأقصى طاقتها لإنقاذ البشرية مما أوصلها إليها شياطين الإنس من أرباب النظام الدولي.

ومع أن الإسلام هو المرشح الأقوى لأن يرث النظام الدولي في ظل احتدام الهجمة الشرسة عليه إلا أن الحملات عليه زادته قوة إلى قوة مع كل محاولات استعمال الأفهام الخاطئة للإسلام وتقدم التيارات الإسلامية الواحدة تلو الأخرى لتكون حلولًا بيد الولايات المتحدة لمواجهة صعود الإسلام (وهي الطريقة المثلى لمحاربة الإسلام)، إلا أننا شهدنا في العقد الأخير تقدم الفهم الصحيح للإسلام في ظل سقوط جميع التيارات الفكرية الإسلامية، وقد مثل ذلك ضربة قوية للحرب على الإسلام الذي يعد البديل الحضاري الوحيد وأمل الشعوب والبشرية جمعاء.

لقد مثلت ثورة الشام المباركة أملًا كبيرًا لدى المسلمين في العالم بإنجاز عملية التغيير لما لها من بعدٍ عقائدي ومركزٍ استراتيجي ورأس حربةٍ دائمة للمسلمين في مواجهة الحملات على مر العصور، وكانت دائمًا مركز الانطلاق والعودة، فرغم أن الظاهر يعطي صورة أنه قد تم احتواؤها إلا أن جذوتها كجمرة تحت الرماد تعود للتوهج مرة أخرى مع كل هبة ريح ما يشكل عقدة لمن يتولى أمر إخماد هذه الجمرة. فالفصائل التي كانت نتاج تيارات فكرية إسلامية متعددة تم تسليم

زمامها للنظام التركي ليقودها نحو ما تم التخطيط له في أروقة السياسة الخارجية الأمريكية، إلا أن النظام التركي وهو قوة إقليمية وعضو مهم في حلف الناتو قد فشل حتى الآن في لعبة عض الأصابع وفي الدور القذر الذي أناطته الولايات المتحدة به باعتبار أنه (نظام إسلامي)، على الأقل في عيون شريحة من المسلمين، مع أنه علماني المضمون بقشرة إسلامية سقطت مع اقتراب استحقاقات المرحلة الأخيرة من دفن آخر معاقل الربيع العربي في سوريا.

لقد كشفت الفترة الأخيرة عن فشل تركي في إنجاز المرحلة الأخيرة من مراحل القضاء على الثورة، ما اضطر الولايات المتحدة للتدخل عدة مرات وإصلاح الأخطاء التي يقع بها لإدراكها خطورة الفشل في إضاعة جهود سنوات مضنية في مواجهة ثورة شعب يملك من التصميم والإرادة الشيء الكثير، وهو العائق الحقيقي إضافة للوعي الذي يبثه المخلصون في جنبات الثورة وكشف أحابيل السحرة، فالخداع هو السلاح الأخير في جعبة أعداء الثورة، وبمجرد الوعي عليه وكشفه فهو إعلان الهزيمة لأعداء الثورة فكيف إن كان من يهدم مخططات إجهاض الثورة يمتلك الحل والبديل النابع من العقيدة الإسلامية، وهو ما يتوق له كل مسلم على وجه الأرض؟! بالتأكيد ستكون النتائج باهرة في قادم الأيام بإذن الله.

لقد وصل الأمر بالنظام التركي لإعلان براءته من كل تصريحاته وابتلاعها والعمل الجاد على إنقاذ النظام المجرم بإجبار أدواته على التطبيع معه كمرحلة تسبق تسليمه المناطق المحررة والاستسلام لعصابات الأسد الفاقد للشرعية خاصة بعد جرائمه الوحشية بحق أهل الشام واستجلاب العصابات والمليشيات لقتلهم والتنكيل بهم، حتى وصل به الحال إلى نظام شكلي لا قرار له في البلاد في ظل تحكم روسيا وإيران بالقرار في المناطق الواقعة تحت سيطرته، وهذا الدفع التركي له أسبابه ومسبباته واستحقاقاته التي رسمت خطوطها الولايات المتحدة وتتولى تركيا تنفيذها في ظل تحركات كيان يهود ضد الوجود الإيراني في سوريا في حرب مصالح على النفوذ الذي تحاول أمريكا ضبط توازنه وخصوصًا في سوريا، مع وعود للنظام التركي بدور مستقبلي فيها بالتنسيق مع النظام الإيراني، في ظل تحالفات وخطط جديدة لرسم المنطقة بعد أن ضعضعتها الثورات وحركة الشعوب المسلمة، وعدم القدرة على استيعاب هذه الحركة إلا بالبطش والقوة وهو ما يعني الإفلاس الحقيقي في مواجهة المسلمين.

محاولات التناغم بين الدول الإقليمية في المنطقة إيران وتركيا خدمة لمشاريع الولايات المتحدة، وخصوصًا في سوريا وفلسطين، وحصريًا بعد طوفان الأقصى والثبات الأسطوري لغزة رغم تكالب الدول الكبرى في العالم إلى جانب الكيان وصمت وخذلان الأنظمة العربية، بل ومشاركتها فعليًّا في الحرب إلى جانب الكيان، يمثل صورة مصغرة عن الصراع الحضاري بين الإسلام والكفر، وهو برأيي الجولة الأخيرة قبل ظهور الإسلام، خصوصًا وأن صمود غزة وثورة الشام يمثل حالة فريدة في التاريخ تؤكد قرب انبعاث الأمة من جديد في ظل تحذيرات المسؤولين الغربيين من وصول الوضع في الشرق الأوسط لمستوى حرج من الخطورة، وهو دقٌّ لناقوس الخطر في ظل غياب الحلول الناجعة لمشاكل النظام الدولي في أهم بقعة في العالم ومركزه الجغرافي والاستراتيجي.

حضارة الإسلام كانت وما زالت هي المنافس الوحيد للحضارة الغربية، وقد كان الإسلام بعقيدته وأحكامه ونظامه محرك معظم الثورات في المنطقة، وإن فشل التيارات والحركات في إيصاله إلى الحكم ناتج في الأساس عن سوء فهم الإسلام لدى هذه الحركات في ظل دعم الغرب أو التغاضي عن تقدم حركات وتيارات وتصدرها المشهد وفشلها الذي يعد أهم مكسب للغرب وحضارته الآيلة شمسها للغروب، وهذا لن يكون إلا بوقوف المسلمين على أرجلهم وبناء دولتهم على أسس صحيحة؛ دولة راشدة تقودها ثلة واعية على الإسلام وأحكامه ونظامه وطريقته التي خطها رسول الله ﷺ. فالعقبات الكثيرة أمام عودته أصبحت ضعيفة، والمسلمون متمسكون بدينهم ويتحركون بشوق لعودة دولته، وما هي إلا أيام يثبّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا فتشرق الأرض بنور ربها مرة أخرى بعد سنوات الظلم والظلام، وتدبُّ الحياة في الأمة مرة بعد مرة فتتخلص من ضعفها واستضعافها وتقف شامخةً في وجه أعدائها؛ تأخذ رسالة ربها بقوة وتعض على دينها بالنواجذ وتنطلق مرة أخرى للعالم لتزيح عن كاهل البشرية حمل سنين الاستعباد والاستعمار، فتُخرج الناس من الظلمات إلى النور، ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، وما ذلك على الله بعزيز. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

الدين منهج حياة يضبط العلاقة بين الخالق والمخلوق

«إذا نظرنا في اشتقاق هذه الكلمة (الدين) ووجوه تصريفها، نجد[1] أنها تعود إلى ثلاثة معان، تكاد تكون متلازمة، وهناك تفاوتٌ يسيرٌ بين هذه المعاني الثلاثة، مَرَدُّهُ في الحقيقة إلى أن الكلمة التي يراد شرحها ليست كلمة واحدة، بل ثلاث كلمات، أو بعبارة أدق: أنها تتضمن ثلاثة أفعال بالتناوب:

بيانه: أن كلمة «الدِّين» تؤخذ تارة من فعل متعدٍّ بنفسه: «دانه يدينه» وتارة من فعل متعدٍّ باللام، «دان له» وتارة من فعل متعد بالباء: «دان به»، وباختلاف الاشتقاق تختلف الصورة المعنوية:

١-فقولنا «دانه دينًا» يعني: أنه ملكه وحكمه وساسه ودبره وحاسبه، فالدِّين في هذا الاستعمال يدور على معنى الملك والتصرف، بما هو من شأن الملوك من السياسة والتدبير والحكم والقهر والمحاسبة، ومن ذلك: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ أي يوم المحاسبة والجزاء، وفي الحديث: «**الكيس من دان نفسه**»، أي حكمها وضبطها.

٢-وإذا قلنا: «دان له» أردنا أنه أطاعه، وخضع له، فالدين هنا: هو الخضوع والطاعة والعبادة، وكلمة «الدين لله» يصح أن يراد منها كلا المعنيين: الحكم لله، أو الخضوع لله.

٣-وإذا قلنا «دان بالشيء» كان معناه اتخذه دينًا ومذهبًا، أي اعتقده أو اعتاده أو تخلق به. فالدين على هذا هو المذهب أو الطريقة التي يسير عليها المرء نظريًّا أو عمليًّا.

وجملة القول في هذه المعاني اللغوية: إن كلمة الدين عند العرب تشير إلى علاقة بين طرفين، يعظم أحدهما الآخر ويخضع له، فإذا وصف بها الطرف الأول: كانت خضوعًا وانقيادًا، وإذا وصف بها الطرف الثاني: كانت أمرًا ونهيًا وسلطانًا وحكمًا وإلزامًا. وإذا نظر بها إلى الربط الجامع بين الطرفين، كانت هي الدستور المنظم لتلك العلاقة، أو المظهر الذي يعبر عنها. فالمادة تدور على معنى «لزوم الانقياد». فالدين في الاستعمال الأول: هو إلزام الانقياد، وفي الاستعمال الثاني: هو التزام الانقياد، وفي الاستعمال الثالث: هو المبدأ الذي يلتزم الإنسان الانقياد له:»[2] وخلاصة ما سبق أننا أمام طرفين: أحدهما في غاية الرفعة والسمو والسلطان. والثاني: في غاية التواضع والخضوع والذل للأول، والعلاقة والمنهج الذي يضبط علاقة الثاني بالأول هي ما نسميه: الدِّين»[3]

جاء في تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾

١ تعريف الدِّين في كتاب: «رضيت بالإسلام دينًا» للشيخ صالح الشامي، ناقلًا مختصرًا عن العلامة الدكتور محمد عبد الله دراز في كتابه: «الدين».

٢ رضيت بالإسلام دينًا، ص ١٥ - ١٧ الشيخ صالح أحمد الشامي، عن «الدين» للدكتور محمد عبد الله دراز ص ٣٠-٥٢ باختصار كبير

٣ رضيت بالإسلام دينًا، ص ١٥ - ١٧ الشيخ صالح أحمد الشامي

وحكى أهلُ اللغةِ: الدَّين المصدر، والدِّين بالكسر الإسم، والدِّينُ السياسةُ، والدَّيَّانُ السايس. وجاء في لسان العرب من معاني الدين: والدين تعني الشريعة والسلطان؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ﴾، إ.هـ. وقال ابن علان الصديقي في دليل الفالحين: وفي «الكشاف» في قوله تعالى: ﴿أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ [الصافات: ٥٣] أو معناه لـمسوسون أي مربوبون، من الدين بمعنى السياسة، ومنه حديث «**الكيِّس من دان نفسه**[٤]» إ.هـ، فكما ترى، فإن العرب تفهم دين محمد ﷺ على أنه نظام حياة وخضوع لله تعالى ولشرائعه، وسلطان لتلك الشرائع ومحاسبة على التزامها، ومسؤوليات، وواجبات، وحقوق، وأنها تحلُّ محل شرائعهم وعليهم أن ينقادوا لها، فمن الطبيعي إذًا أن نقول بأن طبيعة الدين أنه جاء نظام حياة ليضبط وينظم سلوك الأفراد بالتكليف، وليحكم المجتمع بمنهج خاص من عند الله تعالى**!واقع التكليف، الأعمدة التي يقوم عليها النظام التشريعي الإسلامي، والتي تضمن شمول واكتمال الدين وسعة الشريعة، وحصر النذارة بالوحي، وحفظ السنة النبوية وتؤكد القطع بإجماع الصحابة:**

يُبتنى التشريع الإسلامي على مفهوم: الحكم الشرعي، متكئًا على مفهوم التكليف، فالإنسان مكلف، وسيحاسب على التزامه بالتكليف في كل شأن من شؤونه، «والتكليف مأخوذ من الكلفة على وجه التفعيل، ومعناه الحمل على ما في فعله مشقة، ويندرج تحته الإيجاب والحظر، لا وفق ما يتشوَّف إليه الطبع، وما ينبو عنه»[٥].

وقبل أن نتساءل: أين يبدأ التكليف وأين يقف؟ سنقدم بمقدمة مهمة **تبين واقع التكليف**، وموقع التكليف في تنظيم حياة الإنسان والمجتمع والدولة. **وسنركز الطرح حول فكرة:**

أولًا: **واقع التشريع** (التكليف)،

ثانيًا: **حفظ التشريع**،

ثالثًا: **سعة التشريع، وثباته، وقدرته** على حل مشاكل الإنسان إلى يوم القيامة،

رابعًا: **منهجية التعامل مع مصادره** بشكل يضمن تحصيل الصلة بين الواقع وبين الحكم الشرعي الذي يضبط السلوك أو يتنزل على الواقع ليحكم فيه.

وإليك التفصيل:

أ- أقام الله تعالى نظام الوجود على العدل ومنع الظلم، كما في الحديث القدسي عن أبي ذرٍ جندب بن جنادة، رضي الله عنه،

٤ قال بعض المفسرين أن معناها حاسب نفسه، إلا أن المعنى الأدق يتعدَّى إلى سياسة نفسه كي لا يقع فيما يحاسب عليه، ألا ترى أنه ﷺ فسره بما بعده بقوله: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والفاجر من يُتبع نفسه هواها ويتمنى على الله عز وجل»، فالفاجر يُتبع نفسه هواها، والكيس يسوس نفسه وفق أحكام الله ويمنعها هواها. قال الأزهري في تهذيب اللغة: قال أبو عبيد: قوله: دَانَ نَفْسَه أي أَذَلَّها واستعبدها... والدِّين لِلَّهِ من هذا إنما هو طاعتُه والتَّعَبُّدُ له. وقد قيل في قوله: الكَيِّسُ من دَان نَفْسَه أي حاسَبها. إ.هـ

٥ المنخول من تعليقات الأصول، للإمام أبي حامد الغزالي، ص ٢١.

عن النبي ﷺ فيما يروي عن اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﷻ، رَبِّ العِزَّةِ، تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ أنه قال: «**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرَّمًا فلا تظالموا**»، فقد حرَّم الله الظلم على نفسه، وحرَّمه على العباد **وأنزل الشرع، والمنهج الذي يضمن أن لا يدخل الجَوْرُ في ملكوت السموات والأرض**، فجعلَ الإنسانَ خليفةً **ليقيم النظام الذي يقيم العدل، ويمنع الجور**، ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [٢٥: الحديد]، واستخلفَ الإنسانَ، وارتضى له أن يُصلحَ في الأرضِ ولا يُفسدَ فيها، ولم يترك تنظيمَ الحقوقِ وإقامةَ العدلِ ومنعَ الظلمِ وضبطَ السلوكِ الذي يفضي للإصلاح لا الإفساد، وفض الخصومات والنزاعات، دون تشريعٍ وتنظيمٍ يضبطهُ وينظمهُ، ويقيم الحجة على الخلائق، ويحاسبهم على أساسه، لم يتركه للبشر وأهوائهم وتسلط قويهم على ضعيفهم، وتخبُّطهم في معرفة التنظيم الصحيح الذي يصلح أحوالهم ويقيم نظامهم ويمنع فسادهم!.

وقد تساءلتِ الملائكةُ عن استخلاف اللهِ تعالى للإنسان في الأرض: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ خليفةً؟ فقال الحق تعالى مجيبًا: ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، وليس من معنى لأن يكون الخليفةُ كنايةً عن الانسان **يفعل ما يشاء**، فلو كان ذلك كذلك لتحقق معنى استنكارهم: ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾، أما وقد أجابهم رب العزة قائلًا: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ففيه معنى أنه لم يجعله خليفة لسفك الدماء، والإفساد، **ومن هذا نستثني من الاستخلاف من يتبع أي منهج يفضي للإفساد وسفك الدماء.**

وهذا حال كل منهج قام على تشريع الناس، وأهوائهم، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون: ٧١]، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الجاثية: ١٨]، فغير شريعة الله اتباع لأهواء المشرعين، ويفضي للإفساد في الأرض، وللظلم وللجور؛ لذلك فالخليفة المشار إليه هو الذي يقيم منهج الله الذي يضمن إحقاق الحق والعدل وفقًا لشرع الله، بتطبيق شريعته، هذا هو الذي استخلفه الله تعالى: المؤمنين يقيمون شريعته في كل شأن من شؤون حياتهم، ويبايعون خليفة يطبقها فيهم في علاقاتهم المجتمعية. قال الإمام القرطبي رحمه الله: «هذه الآية **أصلٌ في نَصْب إمامٍ وخليفة يُسْمَع له ويطاع**؛ لتجتمع به الكلمة، وتنفذ به أحكام الخليفة. ولا خلاف في وجوب ذلك بين الأمة ولا بين الأئمة إلا ما رُوي عن الأصَمّ؛ حيث كان عن الشريعة أصَمَّ»، انتهى. وهذا من دقة علم الإمام القرطبي رضي الله عنه!، فقد جعلَ الإسلامُ السلطانَ للأمة تنيب عنها حاكمًا يحكمها بشرعة ربها، كما استقرَّ من الاستنباط من أصول نظام الحكم في الإسلام، فالخليفة المذكور: هم المؤمنون المتبعون لشرعة الله تعالى في ما أمرهم القيام به من

أوامر في حياتهم، **المقيمون لمنهجه فيهم، فإن قيام المنهج في الأفراد لا يقيمه في المجتمع، وإذا لم يقُم في المجتمع لم يتحقق احتكامهم إليه**[٦]، **ولم يتحقق العدل**؛ لذلك اقتضى الأمر قيام المنهج في الأفراد والمجتمع والدولة، وحيث إن جل هذه الأحكام تطبق من خلال الدولة، فالناس يبايعون عليها خليفة يقيمها فيهم، **فكان جَعْلُ الخليفة الحاكم هو أيضًا معنى قوله تعالى:** ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، **أي الذي به يتحقق معنى الاستخلاف تحقُّقًا يفضي للمقصد من ذلك الاستخلاف**، وتحقيقًا لمعنى التشريف في الاستخلاف؛ مما تدل عليه الآية كما استنبطها القرطبي مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ١٤]،[٧] أي أن تطبقوا أحكام الله، ومنهج الله فيما بينكم وعلى أنفسكم في كل شأن، والخلافة على الخصوص في الحكم، من قبل الحاكم يحكم بما أنزل الله؛ إذ إن هذا المنهج هو الذي يميز بين أن يكون المستخلَف في الأرض مفسدًا فيها، سافكًا للدماء، أو أن يكون خليفةً يعصمه ذلك المنهج عن ذلك الزلل. **ولكي يسود المنهج لا بد من أن يسود من خلال دولة، لا مجرد أن يلتزم به أفراد في ظل مجتمع يطغى فيه غير ذلك المنهج!** ولكي يتحقق أن يكون معنى الاستخلاف تشريف **المُسْتَخْلَفِ**، فلا تشريف لمن لم يُقِم منهج الله! لا تشريف لمن أفسد وسفك الدماء!

ب- إذن؛ وبالضرورة يلزم أنه لا بد من وحي ومعجزة ورسالة وتشريع، وأن تكون الرسالة هي المرجع النهائي لتقرير ما يجب اعتقاده من غيبيات لا يقع الحس عليها أو على آثارها، وما يجب أن تنظَّمَ الحياةُ وفقَهُ من منهج عيش ليتحقق الاستخلافُ الصحيحُ للإنسان، ولتبين له فلسفةَ الوجودِ التي سيعيش وفقًا لها مطمئنًا، يسير على هدى، ولتكون هذه الشريعة امتدادًا للنظام الكوني القائم على العدل ومنع الظلم، القائمة على التوازن والتنظيم الدقيق، القائمة على النور والحق والهدى، النائية بنفسها عن الضلال والباطل والظلمات.**وقد حصر الله تعالى حق**

٦ **حجر الزاوية في هوية المجتمع هو الكيفية التي تُسيّر بموجبها العلاقات، والنظم التي تضبط هذه العلاقات،** فالعلاقات الربوية نتاج تطبيق نظام رأسمالي مثلًا، لا يمكن أن تتغير في المجتمع طالما بقي المجتمع رأسماليًا، ولا أثر لامتناع ملايين الناس من المسلمين في المجتمعات الغربية أو حتى البلاد الإسلامية التي يتفشَّى فيها نظام الربا عن الربا في تغيير النظام الاقتصادي الرأسمالي فيه، بل إنهم ولا شك ستدخل أموالهم البنوك، وتستثمرها البنوك بشكل قانوني فيما يراه البنك، وتختلط أموال المسلمين بالربا وبتجارة الخمور، والاستثمارات التي تستثمرها البنوك في النوادي الليلية، شاء المسلمون في الغرب أم أبوا، بل وفوق ذلك، فإنهم سيخضعون لقوانين الدولة من تأمين إلزامي، وضرائب، ونظم محرمة في الإسلام وغير ذلك، فالعبرة إذن في العلاقات والأنظمة لا في معتقدات الأفراد.

٧ وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٦٥]، وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر:٣٩].

التشريع به وحده[٨]، واختص بِهِ ذاتَهُ العَلِيَّةَ، فأنزله كتابًا وسنةً أوحى بهما إلى نَبِيِّهِ ﷺ، ومنع غيره منه (وهو ما اصطُلح عليه بمسمى الحاكمية[٩])، قال تعالى: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ﴾ [الأنعام: ٥٧- يوسف: ٤٠- يوسف: ٦٧]. وقال تعالى: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ﴾ [الشورى: ١٠]. والحكم في اللغة هو المنع ومنه قيل للقضاء حكمٌ لأنه يمنع من غير المقضيّ؛ وعليه فلله وحده الحق في منع المحكومين من أن يتصرفوا إلا وفق شريعته[١٠]، فالتشريع يقيم معنى العبودية لله!.

وقد أَذِنَ اللهُ تعالى للرسولِ ﷺ بالتعبيرِ عن الوحيِ الذي نزلَ عليهِ بلسانِهِ ﷺ، لبيان المعاني التشريعية، كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، أي أوتي ﷺ حق صياغة المعاني التي تُوحى إليه تشريعًا، فما يُشرع في السنة التي أوحي إلى الرسول ﷺ بها شرعٌ كما التشريع الذي في القرآن سواء بسواء، ومصدرها الوحي، وما يصوغه معصوم بالوحي، وعليه من الوحي رَصَدٌ ليبلغ الدقة المتناهية في تبليغ مراد الله، وكان معصومًا لا ينطق إلا بالحق. فهذه ضمانات أن ألفاظ السنة صيغت تحت عناية الوحي لتؤدي المعاني التي أوحي له بها.

والعقل ليس بمشرع، قال تعالى: ﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ﴾ [الشورى: ٢١]، وقال تعالى: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾

وتشريع الله هو الضامن لتحقيق العدلِ وإقامةِ ميزان القسط في الأرض، فإن خلت مسألة من تشريعٍ متصل بالوحي فإن هذا مُدخلٌ لوجود الظلم أو الخطأ في الحكم والمعالجة المستمدة من التشريع البشري في تلك المسألة؛ **فلا بد أن تُحفَظَ الشريعةُ بقرآنها وسنتها لإتمام النعمة بإقامة ميزان العدل والقسط** على الخلائق إلى يوم الدين، وقد علمنا أن في السُّنَّةِ بيانٌ لمجمل القرآن، فالسُّنَّةُ مُبَيِّنَةٌ وَمُوَضِّحَةٌ وَشَارِحَةٌ للقرآن وملحقةٌ الفروعَ بأصولِها ومشرعةٌ أحكامًا جديدة ليس لها في القرآن أصول[١١]، فلو فُقد بعضُ السُّنَّةِ

٨ حق التشريع لله وحده قطعًا وحصرًا؛ ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ﴾ [الأنعام: ٥٧- يوسف: ٤٠- يوسف: ٦٧] راجع دقة الطرح في فصل: المفصل الثاني: الله تعالى هو الدَّيَّان: حق التشريع لله وحده قطعًا وحصرًا.

٩ الحاكمية من خصائص الربوبية باختصاص الله بالتشريع، ومن خصائص الألوهية بإفراده تعالى بالعبودية والتقديس بالتزام ما شَرَعَ وعدم اتخاذ غيره أربابًا يَشرَعونَ من الدين ما لم يأذنْ به اللهُ، أو يغيروا أحكامه، ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠]، جمع في هذه الآية بين حق الطاعة وحق العبادة، فحق على العباد أن يطيعوا الله فيما أمر، وأن يعبدوه، فالربوبية من خصائصها ومن مقتضاها الحاكمية التشريعية. ومن يحكم بغير ما أنزل الله فإنه يرفض ربوبية الله وخصائصها في جانب، ويدّعي لنفسه هو حق الربوبية وخصائصها في جانب آخر.

١٠ من هنا فإن تشريع العبيد بعضهم لبعض فيه اتخاذ بعضهم أربابًا من دون الله

١١ ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩] وفي القرآن تبيان بهدى (ذكر) يأتي به الرسول ﷺ تجب طاعته والعمل به، فهذا من هذا، فالتبيان يحصل بالسنة أيضا وأصلها مقرر في القرآن: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

لفُقِدَ شيء من التشريع![12]

ج- إن رب العالمين سبحانه أمرنا باتباع الشرع وحده، فقال عز من قائل: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٣﴾ [الأعراف: ٣]، ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلۡوَحۡيِۚ وَلَا يَسۡمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ٤٥﴾ [الأنبياء: ٤٥]، ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [النساء: ٥٩]، ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ٣١ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ٣٢ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ٣٣ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ ٣٤ ثُمَّ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰٓ ٣٥ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ٣٦﴾ [سورة القيامة] ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ﴾ [[الأنعام: ٥٧- يوسف: ٤٠- يوسف: ٦٧]]، ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ١٠﴾ [الشورى: ١٠].

، وقال: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾، وقال: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾، والرسول ﷺ يقول: «**كل أمرٍ ليس عليه أمرُنا فهو رَدّ**»، فهذا يدل على أن الأصل هو اتباع الشرع والتقيّد به. إن الإنسان مُكَلَّفٌ، ومعنى التَّكْليف إلزام الـمُكَلَّفِ بما اقتضى **الشرع** فعله أو تركه أو استواء فعله وتركه، وفق شروط **التَّكْليف**، ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٢﴾ [هود: ١١٢] ولا حكم قبل ورود الشرع. يقول الشوكاني في إرشاد الفحول (ص٦): «ولا خلاف في كون الحاكم هو الشرع؛ وذلك بعد البعثة وبلوغ الدعوة». ويقول الغزالي في المستصفى (ص٤٠): «والمحكوم فيه هو فعل المكلّف، ولا حكم قبل ورود الشرع. **والعقل معرِّف للحكم وليس بحاكم**». وقال النووي رحمه الله في المجموع شرح المهذب، في كتاب الطهارة: «وَكُتُبِ الْمَذْهَبِ أَنَّ أَصْلَ الْأَشْيَاءِ قَبْلَ وُرُودِ الشَّرْعِ عَلَى الْإِبَاحَةِ أَمْ التَّحْرِيمِ أَمْ لَا حُكْمَ قَبْلَ وُرُودِ الشَّرْعِ؟ وَفِيهِ ثَلَاثَةُ أَوْجُهٍ مَشْهُورَةٍ **الصَّحِيحُ مِنْهَا عِنْدَ الْمُحَقِّقِينَ** لَا حُكْمَ قَبْلَ وُرُودِ الشَّرْعِ، وَلَا يُحْكَمُ عَلَى الْإِنْسَانِ فِي شَيْءٍ يَفْعَلُهُ بِتَحْرِيمٍ وَلَا حَرَجٍ، وَلَا نُسَمِّيهِ مُبَاحًا لِأَنَّ الْحُكْمَ بِالتَّحْرِيمِ وَالْإِبَاحَةِ مِنْ أَحْكَامِ الشَّرْعِ، فَكَيْفَ يَدَّعِي ذَلِكَ قَبْلَ الشَّرْعِ. وَمَذْهَبُنَا وَمَذْهَبُ سَائِرِ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّ الْأَحْكَامَ لَا تَثْبُتُ إلَّا بِالشَّرْعِ، وَأَنَّ الْعَقْلَ لَا يُثْبِتُ شَيْئًا». وقال الشاطبي رحمه الله في الموافقات ٢٠٠/٤: «والأصل في الأعمال قبل ورود الشرائع سقوط التكليف؛ إذ لا حكم عليه قبل العلم بالحكم؛ إذ شرط التكليف عند الأصوليين العلم

١٢ استفضنا في التدليل على حجية السنة، وأنها وحيٌ محفوظ، في كتابنا: (البرهان المبين على أن السنة وحي، وأنها محفوظة، وأنها حجة، وأصل من أصول الدين).

بالمكلف به»[13]. انتهى

د- ورب العالمين سبحانه يبين في غير موضع من القرآن أن وجودنا في الدنيا، وخلق الموت والحياة إنما هو ليبلونا أيُّنا أحسن عملًا؛ وحتى يكون العمل حسنًا لا بد فيه من إخلاص القصد لله، وأن يكون موافقًا للشرع، مستمَدًّا من الشرع؛ ولهذا كان أئمة السلف رحمهم الله يجمعون هذين الأصلين كقول الفضيل بن عياض في قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢] «قال: أخلصه وأصوبه، فقيل: يا أبا علي: ما أخلصه وأصوبه؟ فقال: إن العمل إذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل، وإذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، حتى يكون خالصًا صوابًا، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة». ويتعذَّر البلاء والاختبار إذا لم يتوفر دليل يستدل به العامل على عمله ليجعله حسنًا، مما يقتضي ضرورة حفظ الشرع الذي فيه دليل كل عمل تكليفي.

ومن مقتضيات التكليف أن الله تعالى وعد بالحساب على مثقال الذر من العمل، فقال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ

---

١٣ يقول الإمام النيهاني رحمه الله في الشخصية الإسلامية، الجزء الثالث: (أصول الفقه): وكذلك لا يقال إن الأصل في الأفعال والأشياء الإباحة بحجة أنها انتفاع خالٍ من أمارة المفسدة ومضرّة المالك فتُباح، لا يقال ذلك لأن مفهوم الآية أن الإنسان مقيَّد بما جاء به الرسول لأنه يعذب على مخالفته، فصار الأصل اتباع الرسول والتقيّد بأحكام رسالته، وليس الأصل الإباحة أي عدم التقيّد، ولأن عموم آيات الأحكام تدل على وجوب الرجوع إلى الشرع ووجوب التقيّد به، قال تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾، وقال: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾، **وقال:** ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾، ولأن الرسول ﷺ يقول: **«كل أمرٍ ليس عليه أمرُنا فهو رَدّ»**، فهذا يدل على أن الأصل هو اتباع الشرع والتقيّد به... وأيضًا فإنه بعد ورود الشرع صار للأشياء وللأفعال أحكام، فالأصل أن يُبحث في الشريعة عن الأشياء والأفعال هل يوجد لها أحكام أم لا، لا أن يكون الأصل اعتبارها مباحة ووضع حكم الإباحة لها من العقل مباشرة مع وجود الشرع. وكذلك لا يقال إن الأصل في الأشياء التوقف وعدم الحكم. لأن التوقف يعني تعطيل العمل أو تعطيل الحكم الشرعي، وهو لا يجوز، ولأن الثابت في القرآن والحديث عند عدم العلم، السؤال عن الحكم، وليس التوقف وعدم الحكم، قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، ولقوله ﷺ في حديث التيمّم: **«ألا سألوا إذا لم يعلموا، فإنّما شفاء العيّ السؤال»**،

فدل على أنه ليس الأصل التوقف وعدم الحكم. وعليه فإنه بعد بعثة الرسول ﷺ صار الحكم للشرع وأضحى لا حكم قبل ورود الشرع، فيُتوقف الحكم على ورود الشرع، أي على وجود دليل شرعي للمسألة الواحدة، ولذلك لا يعطى حكم إلاّ عن دليل، كما لا يعطى حكم إلاّ بعد ورود الشرع. والأصل أن يُبحث عن الحكم في الشرع، أي الأصل أن يُبحث عن الدليل الشرعي للحكم، من الشرع .... هذا بالنسبة للأفعال، أمّا بالنسبة للأشياء وهي متعلقات الأفعال، فإن الأصل فيها الإباحة ما لم يَرِد دليل التحريم،

فالأصل في الشيء أن يكون مباحًا ولا يحرم إلاّ إذا ورد دليل شرعي على تحريمه؛ وذلك لأن النصوص الشرعية قد أباحت جميع الأشياء، وجاءت هذه النصوص عامة تشمل كل شيء، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾، ومعنى تسخير الله للإنسان جميع ما في الأرض هو إباحته لكل ما في الأرض، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾، وقال: ﴿۞ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟﴾، وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ﴾. وهكذا جميع الآيات التي جاءت في إباحة الأشياء جاءت عامة، فعمومها دل على إباحة جميع الأشياء، فتكون إباحة جميع الأشياء جاءت بخطاب الشارع العام، فدليل إباحتها النصوص الشرعية التي جاءت بإباحة كل شيء. فإذا حرم شيء فلا بد من نص مخصص لهذا العموم يدل على استثناء هذا الشيء من عموم الإباحة. ومن هنا كان الأصل في الأشياء الإباحة؛ ولذلك نجد الشرع حين حرّم الأشياء قد نصّ على هذه الأشياء بعينها استثناء من عموم النص، فقال تعالى: ﴿**حُرِّمت عليكم الميْتَة والدم ولحم الخنزير**﴾، وقال ﷺ: **«حُرِّمت الخمرة لعينها»**، فيكون ما نص عليه الشرع من تحريم أشياء، هو مستثنى من عموم النص، فهو على خلاف الأصل. والأصل إباحة جميع الأشياء. انتهى؛ وعليه فلا حكم قبل ورود الشرع، وأي حكم صادر عن العقل في مسائل الشرع خال من الدليل رد.

٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨﴾ [الزلزلة: ٧-٨]، وهذه الآية تقتضي أن يكون على مقدار الذر من العمل نذارة مرجعها الوحي، ليحاسب بناء عليها، وتقتضي أن يكون وصف مثقال الذر من العمل بالخير أو بالشر إلى الله تعالى، ويحاسب عليه! فحكم العقل المحض لا يسمى بالحكم الشرعي، ولا يعاقب الله تعالى على مخالفة رأي أو حكم فلان من الناس العقلي في مسألة تكليفية! وهذه الآيات واضحة قاطعة في شمول التكليف لتفصيل يبلغ مثقال الذر من العمل فما فوقه، (أي إنَّ التشريعَ شاملٌ واسعٌ يحوي أوامر ونواه تتعلق بكل مشاكل الإنسان إلى يوم الدين مما فيه تكليف)، وتقتضي أيضًا ضرورة حفظ أدلة الشرع وأماراته اللازمة لاستنباط أحكامه والعمل بناء عليها، فيرى العامل خير ما عمل أو شره.

هـ- والله تعالى لم يترك الناس سدى، أي من غير أمر ولا نهي ولا في مسألة واحدة مما سيحاسبهم عليه، قال تعالى: ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ٣٦﴾ [القيامة: ٣٦]، فلو خلت أية مسألة من أمر أو نهي لثبت أن الإنسان تُرك سدى فيها، ولما أمكن محاسبته على فعلها بأي صورة من الصور؛ إذ لم يثبت لها وصف الخير أو الشر حين خلوِّها عن أمر الوحي، فلا يصلح الحساب عليها، وهذا كله نقيض الآيات القطعية التي تثبت وجود الأمر والنهي في كل مسألة، ووجود الحساب على مثقال الذر من العمل، ووصف ذلك المثقال من الذر بالخير والشر بناء على مرجعيته للوحي، وقد أذن الوحي بقيام بعض الأوامر والنواهي على الظن في الثبوت أو الدلالة، وجعلها من الدين، فلا يخرجها عن وصف الدين تسرب الظن لثبوتها، فمثلًا لو اختلف مجتهدان، فاستنبط أحدهما من الأدلة الشرعية أن لمس المرأة لا ينقض الوضوء، فإن حكمه شرعي، وهو من الدين، ولو استنبط الآخر من الأدلة الشرعية نفسها نقيض ذلك الحكم، أي أن اللمس ينقض الوضوء لكان حكمه شرعيًّا أيضًا، والأول يدين الله بما غلب على ظنه أنه حكم الشرع في المسألة كما يفعل الثاني، فكلاهما وجد أمرًا ونهيًا متعلقًا بالمسألة، ونصوصًا شرعية تحتمل الفهم بهذه الصورة أو بتلك، - هكذا أراد الشارع أن تكون نصوصه في بعض الأحكام الشرعية العملية حمالة أوجه، وقابلة للفهم بأكثر من صورة - فأعمل المجتهد عقله في فهم النصوص ودلالاتها، وتوصل إلى فهم يدين الله تعالى به، وسيحاسب على اتباعه ما وصل إليه اجتهاده[١٤] وقد سبق ونوَّهنا إلى اهتمام الشارع الحكيم باتِّباع الإجراءات العملياتية في دراسة النصوص وفهمها، منعًا لتحكُّم الأهواء، وإقحام الرغبات في فهم النصوص، فإذا ما تجرَّد المجتهد من ذلك كله، وأعمل عقله في فهم النصوص بما تحتمله النصوص من معانٍ ودلالات، وفقًا لقواعد الأصول واللغة المنضبطة، فإنه يفتي بحكم شرعي، وهذه

١٤ أنظر فصل: إثبات أن الأحكام الشرعية العملية يجوز أن تبنى على الظن، في كتابنا: (البرهان المبين على أن السنة وحي، وأنها محفوظة، وأنها حجة، وأصل من أصول الدين).

القدرة التي حوتها النصوص من الاشتمال على معاني كثيرة متعددة في ألفاظ قليلة، أفضت إلى سعة الفقه، وجعلت النصوص قادرة على استيعاب مشاكل الإنسان إلى يوم الدين.

و- روي عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**». رواه مسلم وقال النووي رحمه الله في شرحه: وفي الرواية الثانية: «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد**» قال أهل العربية: (الرد) هنا بمعنى المردود، ومعناه: فهو باطل غير معتدٍّ به، وهذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام، وهو من جوامع كلمه ﷺ، فإنه صريح في رد كل البدع والمخترعات، وفي الرواية الثانية زيادة وهي أنه قد يعاند بعض الفاعلين في بدعة سبق إليها، فإذا احتج عليه بالرواية الأولى يقول: أنا ما أحدثت شيئًا فيحتج عليه بالثانية التي فيها التصريح برد كل المحدثات، سواء أحدثها الفاعل، أو سبق بإحداثها... وهذا الحديث مما ينبغي حفظه واستعماله في إبطال المنكرات، وإشاعة الاستدلال به. انتهى.

وبالتالي فالحكمُ المستندُ إلى العقلِ، المرسلُ عن الأدلةِ والأمارات الشرعية، المنْقطعُ عن الوحيِ، المنْبَتُّ عن الأصولِ، ردٌ لأنه إحداثٌ في أمرنا ما ليس منه، أي ليس مستنبطًا منه، والعمل بناء على هذه الفتيا، عملٌ ليس عليه أمرنا وبالتالي فهو ردٌ أي باطل.

ز- ومن الثوابت القطعية أن الله لا يعذب حتى يبعث رسولًا، فيحاسب الناس على ما أنذرهم وَبَيَّنَ لهم ما عليهم أن يتَّقوه، ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ [التوبة: ١١٥]، ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾[الإسراء: ١٥]، ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾ [الأنعام: ١٩]، ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنبياء: ٤٥]، ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء: ١٦٥]، فهذه الآيات تبين أن الوحي نزل نذيرًا، وأحكامه حجة على المنذَرين، فمن بلغته النذارةُ البينةُ قامت عليه الحجة، واستحق العقوبة على المخالفة، فمن ألغى أحكام الإسلام واستبدل غيرها بها، أو من جعلها لزمان غير زمانه، فإنما يناقض أصلًا عظيمًا من الأصول التي قامت عليها الرسالةُ، ومن عدَّ الإسلامَ ناقصًا فقد ناقض قيام الحجة على الخلائق، ومن أدخل في التشريع شيئًا أساسه العقل ناقض هذه الآيات التي **حصرت النذارة بالوحي**، وبينت شمول الوحي لبيان ما على المكلَّفين اتِّقاءه، **وعلى أساسها أقيمت الحجة وترتب الحساب والثواب والعقاب**.

ح- النذارة لا تكون إلا بالوحي، حصرًا، وتوكيدًا، والنهي قطعي عن اتِّباع ما شُرع من دونه، فاقتضى حفظ الوحي لتقوم النذارة التي تقوم بها الحجة على الخلائق، وليقطع الطريق

على شرائع الغير، وليمكّن عباده من أن لا يتّبعوا من دون الوحي أولياء: ﴿ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ﴾، [الأنعام: ١٠٦]، ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٣﴾ [الأعراف: ٣]، ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلۡوَحۡيِۚ وَلَا يَسۡمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ٤٥﴾ [الأنبياء: ٤٥]، والوحي هو الكتاب والسنة. والوحيُ حجةٌ تامةٌ، ونذارةٌ شاملةٌ، أَمَا وقدِ انقطعَ الوحيُ، فلا نبيَّ ولا رسولَ بعد محمدٍ ﷺ يُوحى إليهِ بشأنِ أيّ تشريعٍ يستجدُّ أو «يُفْقَدُ -زعموا-»، قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، فدلَّ ذلكَ على ضرورةِ بقاءِ الحجةِ التامةِ الكاملةِ على المخاطبينَ بدينِ الإسلامِ -عقيدةً وشريعةً- إلى أن تقومَ الساعةُ، ووصولها إليهم -بالضرورةِ- بيِّنَةً واضِحَةً، محفوظَةً، غير منقوصةٍ لا كتابًا ولا سنةً! فكان نظام الإسلام بعقيدته وشريعته تامًا، ولم تخلُ أي مسألة من تشريعٍ متصل بالوحي حتى لا يبقى أي مدخل لتشريع بشري يكون مصدرًا لوجود الظلم في تلك المسألة، **الأمر الذي يستوجب أن تُحفظ الشريعة بقرآنها وسنَّتها** لإتمام النعمة بإقامة ميزان العدل والقسط على الخلق إلى يوم الدين.

قال الإمام ابن حزم الأندلسي: «﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾، [المائدة: ٣]، قال: فنقول لمن جوَّز أن يكون ما أمر الله به نبيه من بيان شريعة الإسلام لنا غير محفوظ، وأنه يجوز فيه التبديل، وأن يختلط بالكذب الموضوع اختلاطًا لا يتميز أبدًا: أخبرونا عن إكمال الله -عز وجل- لنا ديننا، ورضاه الإسلام لنا دينًا، ومنعه تعالى من قبول كل دين حاشى الإسلام. أكل ذلك باق علينا ولنا إلى يوم القيامة؟ أم إنما كان للصحابة - رضي الله عنهم - فقط؟ أم لا للصحابة ولا لنا؟ ولا بد من أحد هذه الوجوه ... فإذا كانت الإجابة بالضرورة: كل ذلك باق لنا وعلينا إلى يوم القيامة، صحَّ أن شرائع الإسلام كلها كاملة، والنعمة بذلك علينا تامة، وهذا برهان ضروري وقاطع على أن كل ما قاله رسول الله ﷺ في الدين، وفي بيان ما يلزمنا محفوظٌ لا يختلط به أبدًا ما لم يكن منه»[١٥] انتهى.

ط- ولـمّاكان الله تعالى قدنصَّ في سورة الأعراف الآية الثالثة على حصر الاتِّباع بما أنزل الله، وقال الله تعالى في القرآن الكريم على لسان نبيه ﷺ: ﴿إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾ [الأحقاف: ٩]، وقال تعالى: ﴿وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۚ﴾ [الأحزاب: ٢]، وحصر الله تعالى النذارة بالوحي وأكد على ذلك بقوله: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلۡوَحۡيِۚ﴾ [الأنبياء: ٤٥]، أي إن النذارة والاتِّباع في القول والعمل لا يكون إلا عن وحي، حصرًا وتوكيدًا.

وأَمَرَ باتباعِ **النبيِّ** ﷺ، فإن هذا **دليلٌ** على أنَّ أمرَ النبيّ ﷺ ونهيَهُ **مما أنزلَ اللهُ، أي إنه**

١٥ الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم الأندلسي (١/١٢٢-١٢٣)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م

من الوحي، قال تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٣﴾ [الأعراف: ٣]، فموقع قوله ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم﴾ موقع الفَصل الجامع من الحد، وموقع ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ﴾ موقع الفصل المانع في الحَدّ، والأمر باتباع النبي الأمي ﷺ **دليل على دخوله في الحد، أي دليل على أن قوله وفعله وأمره ونهيه من التنزيل، أي من الوحي.**

ي- والدين نفسه كامل، فيه تبيان كل شيء، فقد أكمَلَ اللهُ الدينَ، وأتمَّ به النعمةَ على المسلمين، وأيأسَ منه الكافرينَ، ﴿ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾، [المائدة: ٣]، وحين رضي الله لنا الإسلام دينًا، فإنه وعدَ -ووعدهُ حقٌّ- بأنه لن يقبل من أحد دينًا غير الإسلام، وأنه في الآخرة من الخاسرين، قال تعالى: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥﴾ [آل عمران: ٨٥]، مما يدل على أن الله تعالى لن يقبلَ من بشرٍ دينًا (عقيدة وشريعة أي نظام حياة) إلا الإسلام.

وأكملَ التشريعَ فلم يترك ما يعادلُ مثقالَ ذرةٍ من عملِ الإنسانِ إلا وجعلَ فيها حُكمًا يبيّنُ الخيرَ من الشرِّ تكليفًا ملزمًا للاتِّباع، قال تعالى: ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ٣٦﴾ أي بلا أمر ولا نهي في أيّ شأنٍ من شؤونهِ، وقال تعالى: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨﴾ [الزلزلة: ٧-٨]، فلا بُدَّ إذًا من بيانٍ من الوحيِ يبينُ الخيرَ من الشَّرِّ في أيِّ عملٍ حتى يتمَ الحسابُ بناءً عليهِ، ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الشورى: ١٠]، وقال: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]، والدين نفسه ثابت النسبة للوحي من خلال الأدلة، فكون الله تعالى يأمرنا برد أي نزاع إلى الله ورسوله، أي إلى الكتاب والسنة، فلا بد من حكم له في الكتاب والسنة، وكون الله تعالى يحصر حق التشريع به وحده، فما كان من اختلاف في شيء فحكمه إلى الله تعالى، فلا بد من أن يكون قد بين لنا حكمه في الكتاب والسنة!

وقد جاءت هذه الألفاظ بصيغ العموم، ﴿وَمَا﴾، ﴿مِن شَيۡءٖ﴾، ﴿لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾، ﴿فِي شَيۡءٖ﴾، وكلها تفيد العموم، أي تعم كل نازلة بحكم يحدد الموقف منها.

ولا يمكن شرعًا أن يوجد فعل للعبد ليس له دليل، أو أمارة تدل على حكمه؛ لعموم قوله: ﴿تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾ وللنص الصريح بأن الله قد أكمل هذا الدين. فإذا زُعم أن بعض الوقائع خالية من الحكم الشرعي، على معنى أن هناك بعض الأفعال من أفعال العباد قد أهملته الشريعة إهمالًا مطلقًا، بحيث لم تنصب دليلًا، أو تضع أمارة تنبه بها المكلف على مقصدها فيه، فإذا زعم ذلك، فإنه يعني أن هناك شيئًا

لم يُبَيِّنْهُ الكتاب، وأن هذا الدين لم يكمله الله تعالى، بدليل وجود فعل لم يذكر حكمه[١٦]، فهو دين ناقص، وهذا معارض لنص القرآن؛ ولذلك يكون زعمًا باطلًا[١٧]، ومن مقتضيات صدق هذه الآيات حفظ القرآن والسنة بما فيهما من أدلة على التشريع بصورة تجعل المجتهد قادرًا على الوصول لحكم شرعي فيها مستنبط من الوحي بما يغلب على ظنه أنه حكم الشارع، وعدم الحفظ يقتضي فقدان البيان أو التبيين!

ك- إنه مما لا شك فيه أن الله تعالى أنزل الكتاب والسنة ليتحاكم إليهما الناس في كل شأن من شؤونهم، ويردُّوا اختلافهم إليه، ويقضي بينهم في كل نازلة وخصومة، وبناء عليه يتم حسابهم في الدنيا والآخرة، وعلى أساسه يتميز التزامهم بأحكام الإسلام وتفاضلهم في درجاته، فيؤجرون أو يأثمون، فلئن اختفت تلك الأحكام قبل أن تصل إليك في العصر الحالي، فهل لها من معنى؟ وهل يمكن محاسبتك على عدم التزامها؟ ألا يعني فقدانها إدخال الجور من حيث أريد إقامة العدل؟ ألا يعني إقامة الحجة على أناس وصلتهم دون أناس فقدوها ولم تصلهم؟ ألا يعني أن شؤون من لم تصلهم لن تكون مرعية بالشرع وأحكامه! ألا يعني ذلك أن من لم تصلهم لن يفهموا مراد الشارع، ولا تتحقق الغاية التي أرسلت بها الشرائع بذلك الفقد والضياع؟ ألا يترتب على ذلك أن أحكامًا مجملة مما نزل به الشرع فقدت ما يفصلها ويبينها من السنة فأضحت طلاسم غير قابلة للفهم، منفصلة عن الواقع غير قابلة للتطبيق؟ فيفقد القرآن بذلك وصفه بيانًا وتبيانًا لكل شيء! لذلك **فلا بد أن تكون السنة محفوظة كما هو القرآن محفوظ**، لتتم بهما معًا نعمة الله على الخلق بالإسلام الذي يرتضيه الله تعالى، وبهما معًا يتمكن الدين حين الاستخلاف على الوجه الذي يرضاه الله تعالى للأمة المستخلفة!

قال الإمام الشافعي رضي الله عنه: «قلت: والفرض علينا وعلى من هو من قبلنا ومن بعدنا واحد؟ قال: نعم، قلت: فإن كان ذلك علينا فرضًا في اتباع أمر رسول الله ﷺ، أنحيط به إذا فَرَضَ علينا شيئًا: فقد دلنا على الأمر الذي يؤخذ به فرضه؟ قال: نعم، قلت: فهل تجد السبيل إلى تأدية فرض الله عز وجل في اتباع أوامر رسول الله ﷺ أو أحد قبلك أو بعدك ممن لم يشاهد رسول الله ﷺ إلا بالخبر عن رسول الله ﷺ؟ وإن في أن لا آخذ ذلك إلا بالخبر، **لما دلني على أن الله أوجب عليّ أن أقبل عن رسول الله ﷺ**»[١٨]

ولقد أنزل الله تعالى دين الإسلام للناس

١٦ أنظر فصل: لا يوجد فراغ تشريعي، ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾.

١٧ أنظر الشخصية الإسلامية، الجزء الثالث: (أصول الفقه) لتقي الدين النبهاني.

١٨ الأم ج ٧ ص ٢٥١، أو جماع العلم للشافعي ص ٢١-٢٢، حجية السنة، د. عبد الغني عبد الخالق، الدار العالمية للكتاب الإسلامي/ المعهد العالمي للفكر الإسلامي. طبعة ١٩٩٥، ص ٢٦٢-٢٦٣.

كافة[19]، ولم يقصر الرسالة على من عاش في عصر النبوة، فما نزل به الوحي من اعتقادٍ وتشريعٍ وقصصٍ وخطابٍ فإنه يَعُمُّ بخطابهِ الناسَ كافّةً، وهو مُوجَّهٌ إلى البشريةِ كلّها منذ بعثة الرسولِ ﷺ إلى يومِ الدِّينِ، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٨﴾[سبأ: ٢٨]، وقال عز من قائل: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥٨﴾ [الأعراف: ١٥٨][20]، وهذا خطابٌ موجهٌ لكلِّ الناس بقوله تعالى ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾، فكلُّ من يُطلق عليهم مسمى ناسٌ مذ نزل هذا الخطاب الشامل إلى يوم القيامة فالنبيُّ الرسولُ ﷺ مرسلٌ إليهم، وأكد هذا العموم بقوله ﴿إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ﴾، واستعمل لفظ ﴿إِنِّ﴾ لتأكيد الخبر، باعتبارِ أنَّ في جملة المخاطبين منكِرينَ ومتردِّدينَ، وتأكيد ضمير المخاطبين بوصف ﴿جَمِيعًا﴾ الدال نصًّا على العموم، لرفع احتمال تخصيص رسالته ببشرٍ دون بشرٍ، أو بعصرٍ دون عصرٍ، واستقصاءً في إبلاغِ الدعوةِ إليهم.

ل- قيام الحجة على الناس، فلا عذر للناس على الله بعد الرسل، وهذا يقتضي أن الحجة قائمة إلى يوم الدين، ﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ١٦٥﴾ [النساء: ١٦٥]، فإن ضاع شيء من الدين خلا من حجة في تلك الجزئيات، وهو ما يتنافى مع قيام الحجة، وإمكانية المحاسبة عليه.

ط- ضياع شيء من السنة يقتضي ضياع كونه بيانًا على شيء من الدين الذي نزل في القرآن، وهذا يعني أن القرآن لم يعد مُبِيْنًا (فقد جعل القرآن السنة بيانًا)، ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ٥٤﴾، [النور: ٥٤]، وكلمة المبين وصف مفهِمٌ؛ ولذلك تكون قيدًا للتبليغ، فالبلاغ لا يكون مبينًا، ولا

---

١٩ قال الإمام ابن حزم في كتاب الإحكام ج ١ ص ٩٧: عن المراد بالرد في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾[النساء: ٥٩]: "والبرهان على أن المراد بهذا الرد: إنما هو إلى القرآن والخبر عن رسول الله ﷺ، أن الأمة مجمعة على أن هذا الخطاب متوجه إلينا، وإلى كل من يُخلَقُ وتُركَّب روحه في جسده إلى يوم القيامة، من الجنة والناس كتوجهه إلى من كان على عهد رسول الله ﷺ، وكل من أتى بعده عليه السلام وقبلنا، ولا فرق" حجية السنة، د. عبد الغني عبد الخالق، الدار العالمية للكتاب الإسلامي/ المعهد العالمي للفكر الإسلامي. طبعة ١٩٩٥، ص ٢٦٣.

٢٠ تفسير الآلوسي، الرازي، ابن عاشور، خواطر الشعراوي. وقال الدكتور فاضل السامرائي: «إنما جيء بهذه الصفات لتذكير اليهود ووعظهم حيث جحدوا بنبوة محمد ﷺ وزعموا أن لا رسول بعد موسى، واستعظموا دعوة محمد، وكانوا يعتقدون أن موسى لا يشبهه رسول، فذكرهم الله بأنه هو وحده مالك السماوات والأرض، وهو واهب الفضائل، فلا يستعظم أن يرسل رسولًا ثم يرسل آخر، فالمُلك بيده. وفي ذكر الإحياء والإماتة تذكيرٌ لهم بأن الله يحيي شريعة ويحيي أخرى، فلا تعجب إذًا من ذكر هذه الصفات في هذا الموضع لأن القصة أعظم»

تكتمل أسباب الهداية بفقدان البيان والاقتصار على المبيَّن أو المجمل الذي في القرآن، في جزئيات فقدت، فلا تقوم في تلك الجزئيات الحجة بالاقتصار على المجمل الذي في القرآن!

وهذا يعني أن الدين محفوظ من الضياع ومنه الدليل على أن السنة محفوظة من الضياع، نقلت لنا كلها، لأن بها بيان القرآن، وتَفصيلُ مُجْمَلِهِ، وتقييد مطلقه، وشرح ألفاظه، وتوضيح أحكامه ومعانيه، وبها اكتمل الدين، ومهمتنا أن ننقي صحيحها من ضعيفها؛ حيث إن معظم الأحكام الشرعية أخذت من السنة، باعتبار أن السُّنَّة مبينة وموضحة وشارحة للقران وملحقة الفروع بأصولها ومشرعة أحكامًا جديدة ليس لها في القران أصول، وبها تم الدين واكتملت النعمة، وارتضى الله لنا الإسلام دينًا بما فيها وما في القرآن من أحكام، قال الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾، وقال: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴿٦٤﴾﴾.

مع وجود أصول دقيقة لبلوغ الحكم الشرعي أذنت بوجود طريق تحصيل غلبة الظن في بلوغ الأحكام الشرعية، وبالتالي أذنت بوجود الظن في آحاد الأدلة التي أتت من السنة في ثبوتها أو دلالتها، تمامًا كما أذنت بظنية بعض الآيات القرآنية في دلالتها، وبالتالي فالدين بمجمله، وفق أصول الفقه، يحقق وعد الله تعالى بوجود أوامر ونواه متعلقة بكل فعل من الأفعال، وكل مسألة من المسائل، وكل نازلة، ويحقق إمكانية الحساب على مثقال الذر، وإطلاق الخير أو الشر عليه، فمن نقل لنا هذا الدين يجب أن يكون إجماعه مقطوعًا به، وإلا تحصل الشك في ثبوت الدين، وثبوت اكتمال الدين، وثبوت شمول الدين لكل صغيرة وكبيرة، ولما وصل إلينا الأمر والنهي ولما تحقق إمكانية الحساب، فمن بهم ثبت الدين ونقلوه لنا كاملًا يحصل القطع بأن إجماعهم مقطوع بصدقه.

م- وقد فصلنا في بيان حفظ السنة من خلال دقة مناهج علوم الحديث وتفاصيلها في كتابنا: (البرهان المبين على أن السنة وحي، وأنها محفوظة، وأنها حجة، وأصل من أصول الدين).

إذًا، يقتضي التكليف أن نفهم العملية التي يتم بها إنزال الأحكام الشرعية على الوقائع؛ لكي تعطي لكل واقعة حكمًا شرعيًّا **يضبط سلوك الإنسان في الحياة، معالجًا لأفعال المكلفين، ولأحكام علاقات البشر بعضهم مع بعض، ومبينًا أحكام أنظمة الدولة والحياة والمجتمع.** ■

بسم الله الرحمن الرحيم

الحضارة الغربية في طور الإشراف على السقوط والانهيار

عبدالخالق عبدون علي

عضو المكتب الإعلامي لحزب التحرير

ولاية السودان

بدأت نهاية الحضارة الغربية، وأزفت آزفتها، وحان وقت أفول شمسها وزوال مجدها، وهي بانتظار قرع طبول جنازتها... فقد استهلكت تلك الحضارة كل رصيدها من القيم، وهي الآن في الحضيض وفي مستوًى متدنٍّ لم تصل إليه البشرية على مدى تاريخها من الانحطاط الأخلاقي والمجاعة السلوكية والفقر الروحي.

فالمتأمل في حقيقة الحضارة الغربية وقيمها يرى أنها مخالفة لما يتمُّ ترويجه بأن الغرب هو في قمة الرقي القيمي؛ لأنه في حقيقة الأمر لا يخفى على كل ذي عينين وفطرة سوية تلك النتانة القيمية والأخلاقية المنبثة في كل جنبات المجتمعات الغربية.

فالمجتمعات الغربية تعاني من تدنٍّ أخلاقي وانحطاط قيمي لا مثيل له، وتترفع عن ارتكابه حتى الحيوانات: من شذوذ جنسي، وزنا محارم، وتفكك أسري، وتغذية للشهوة الجنسية بالعلاقات الخيانية العابرة التي ينجرُّ عنها الخيانات الزوجية، وارتفاع حالات الطلاق، وحمل القاصرات وعمليات الإجهاض والعزوف عن الزواج والإنجاب مما جعل من مجتمعاتهم تعاني الشيخوخة والتهرم.

ولعل من أصدق من تكلم بإشراف الحضارة الغربية على الانهيار والسقوط هو سيد قطب رحمه الله، وكان مما قاله: «تقف البشرية اليوم على حافة الهاوية... لا بسبب التهديد بالفناء المعلَّق على رأسها... فهذا عَرَضٌ للمرض وليس هو المرض... ولكن بسبب إفلاسها في عالم «القيم» التي يمكن أن تنمو الحياة الإنسانية في ظلالها نموًّا سليمًا وتترقى رقيًّا صحيحًا. وهذا واضح اليوم وفي غاية الوضوح في العالم الغربي الذي لم يعد لديه ما يعطيه للبشرية من «القيم»، بل الذي لم يعد لديه ما يُقنع ضميره باستحقاقه للوجود». وأردف أيضًا: «إن قيادة الرجل الغربي للبشرية قد أوشكت على الزوال؛ لا لأن الحضارة الغربية قد أفلست ماديًّا أو ضعفت من ناحية القوة الاقتصادية والعسكرية... ولكن لأن النظام الغربي قد انتهى دوره لأنه لم يعد يملك رصيدًا من «القيم» يسمح له بالقيادة. فلابد من قيادة تملك إبقاء وتنمية الحضارة المادية التي وصلت إليها البشرية، عن طريق العبقرية الأوروبية في الإبداع المادي، وتزوِّد البشرية بقيم جديدة جدَّة كاملة - بالقياس إلى ما عرفته البشرية – وبمنهج أصيل وإيجابي وواقعي في الوقت

ذاته. والإسلام - وحده - هو الذي يملك تلك القيم، وهذا المنهج. فهذه هي الفرصة الذهبية والتاريخية الوحيدة أمام الأمة للاستفاقة من سباتها والعودة إلى عزها وتريسها للأمم؛ وذلك لن يتم إلا بتحكيم الشريعة التي تضمن الحفاظ على الأخلاق النبيلة وتقينا من سموم المجتمع الغربي وممارساته الشنيعة وانحطاطه الأخلاقي والاستغلال الرشيد لما أسبغ الله علينا من ثروات وموارد منهوبة حاليًّا».

ويقول الأستاذ سعد القحطاني: «لقد قدم الإنسان الغربي نفسه على أنه راع للقيم الإنسانية، ورسول الأمن والسلام، ومبشر بالفردوس الأرضي المنحصر في عالمنا المنظور، فإذا به يستفتح عهد زعامته البائسة بحربين عالميتين كادت البرية أن تفنى بهما، وقد هلك في هاتين الحربين فقط أكثر من سبعين مليون إنسان. وحَصْدُ هذا العددِ من الأرواح يتطلب أسلحة أكثر فتكًا وفاعلية من الأسلحة التقليدية؛ ولذلك وجه الإنسان الغربي إبداعه في ابتكار أسلحة الإبادة والإفناء، فصنع سلاحه الذري القادر على إفناء عشرات الألوف من البشر في لحظة واحدة.

فبعد تجريب القنبلة الذرية في فضاء صحراء نيومكسيكو آن أوان تجريبها على رؤوس البشر، فألقيت على مدينة هيروشيما اليابانية؛ فهلك أكثر من سبعين ألف إنسان عند لحظة انفجارها، ثم اتبعت بأختها التي اغتالت عشرات الألوف من سكان مدينة ناجازاكي.. وكثير ممن كتب لهم النجاة من الموت المباشر ماتوا بعد ذلك قريبا متأثرين بالحروق أو السرطان أو التسمم الإشعاعي.. وبقي أثر هذه المأساة إلى سنوات عديدة عانى منها سكان المدينتين.

وبرهن الإنسان الغربي على كفاءته في التدمير والقتل؛ إذ فتك بما يزيد عن مائتي ألف إنسان بسلاح واحد».

ويقول: «ومما يزيل مساحيق التجميل من وجه الحضارة الغربية ويكشف زيف الإنسانية، النظر في تعاملهم مع الإنسان المنتمي لأمة أو حضارة أخرى غير حضارة الإنسان الأبيض، وسنشير إلى واحدة من القضايا البشعة المعبرة عن انتهاك القيمة الإنسانية، وهي جريمة التجارة بالإنسان الإفريقي.

ومن النماذج التي ما زالت آثارها حية، ولا تفارق وصمة عارها حضارة الغرب، ولا يمكن محوها من ذاكرة تاريخهم الأسود...

○ تجارة الرقيق

لم تكن إمبراطوريات الدول الغربية لتفجر ثورتها الصناعية إلا بوجود وفرة من الأيدي العاملة، ولم يجد الأوروبيون أنسب من سواعد الأفارقة لتحريك عجلة الإنتاج الصناعي وبناء العالم الغربي الجديد. فقامت الدول الأوروبية بإنشاء مراكز لصيد الأفارقة على السواحل الإفريقية. ولم يكن الرجل الغربي المتحضر يواجه صعوبة في عمليات صيد فرائسه من الأفارقة البدائيين بفضل أسلحته النارية. وقد

كانت الحاجة ملحة إلى امتلاك أعداد ضخمة من العبيد كلما ازدادت مستعمرات الدول الاستعمارية وذلك لتأمينها بالأيدي العاملة، وعلى إثر ذلك ازدهرت تجارة العبيد، وفحش ثراء أصحاب المشاريع الصناعية، وتضاعف الإنتاج على حساب استنزاف القارة السمراء وإفراغها من سكانها ومقدراتها من المواد الخام. وتشير بعض الدراسات إلى أن عدد من تم ترحيلهم من القارة القديمة يصل إلى مائة مليون إنسان إفريقي..

فقد أصبحت تجارة العبيد تجارة دولية، وعرفت هذه التجارة بالتجارة المثلَّثة؛ حيث كانت البضائع والسلع تنقل من أوروبا إلى إفريقيا حيث تستبدل هذه البضائع بالعبيد الذين يتم شحنهم إلى أمريكا وأوروبا، وهناك يستبدل العبيد بالبضائع لتنتقل مرة أخرى وتعود إلى أوروبا. وكان من بين كل خمسة يتم ترحيلهم إلى أمريكا يسلم من الموت واحد فقط، أما البقية فكانوا يموتون بسبب العنف والقتل والمرض والجوع».

السفول والانحطاط الأخلاقي:

لو أن كاتبًا أراد استقصاء جرائم الغرب في حق الإنسانية لكتب فيها مجلدات ضخمة؛ لذلك سننتقل إلى وجه آخر من أوجه الانحدار الأخلاقي في ظل زعامة الرجل الأبيض. وهذا الوجه هو السفول والانحطاط الأخلاقي.. فقد شهدت الحضارة الغربية على نفسها بعجزها عن الرقي الأخلاقي، منذ أعلنت مركزية الإنسان وانفكاكه عن الوحي السماوي، ذلك أن كل محاولة لتأسيس منظومة أخلاقية منعزلة عن الدين هي بمنزلة بناء صروح على الرمال؛ لأن الأخلاق لا يمكن أن تبنى إلا على الدين.

في الحضارة الغربية أصبح الإنسان هو معيار ذاته، فقد يستحسن أحدهم ما يستشنعه الآخرون، وقد يحصل العكس، وهو ما يعبر عنه بالنسبية الأخلاقية.. أي أن الأخلاق فقدت موضوعيتها. وحتى لا يكون كلامنا نظريًّا مجردًا خذ هذا المثال الواقعي: لك أن تتصور أن الشذوذ ـ وهو الرذيلة الأخلاقية القبيحة المفسدة للنوع الإنسان ـ لا يستطيع الإنسان الغربي الذي بقيت فيه بقية من الفطرة السليمة أن يصرح باستشناعها. في أمريكا حكم على شاب أمريكي بالسجن ستة عشر عامًا لمجرد أنه قام بحرق علم الشواذ، فحكمت عليه المحكمة بالسجن خمسة عشر عامًا بسبب إهانة الشوَّاذ، وسنة واحدة بسبب تهوُّره في استعمال النار.

في عام ٢٠١٥م أصدرت المحكمة العليا في الولايات المتحدة حكمًا تاريخيًّا يقضي بمنح الشواذ حق الزواج في كافة الولايات الأمريكية (يعني يتزوج الرجل الرجل، وتتزوج المرأة المرأة).. وكان تعليق رئيس أقوى دولة في العصر الحديث في ذلك الوقت «باراك أوباما» هو أنه قال: «إن هذا الحكم انتصار لأمريكا وانتصار للحب»... تخيل!!!، تخيل أن

هذا التمرد على الفطرة والانحراف عن سلوك البشر الأسوياء أصبح فعلًا مشروعًا يُحمَد الانتصار له، ويُمجَّد من ضحَّى من أجله!!!.

وهذا نموذج لجرائم أمريكا:

لما جاء الأوروبيون إلى ما يعرف الآن بالولايات المتحدة كان بها نحو ١٢٠ مليون هندي، ولكن الأمراض، والخمور القوية وما يقارب ٣٠٠ عام من الحروب المستمرة (المذابح التي قام بها المستوطنون الأوروبيون) فقتلوهم وقتلوا حيواناتهم (الجواميس) وصادروا أراضيهم وامتدت إبادتهم إلى عام ١٩٠٠ أي ١٢٠ سنة بعد الاستقلال واشترك فيها الجيش الأمريكي الإرهابي المدجج بالأسلحة مقابل القبائل البدائية الذين كان ذنبهم أنهم متخلِّفون بدائيون، فرخص الأمريكيون دمهم فأبادوهم ولم يتبقَّ منهم غير ٣٣٨ ألف فقط، وبرز الرؤساء الأمريكيون الأوائل بسبب إجرامهم وقمعهم للهنود الحمر، فكان كلما زاد الجنرال قمعه للهنود الحمر انتخبه الأمريكيون رئيسًا. وقد وصل الأمر إلى الحد الذي راح الأمريكيون يتباهون بهذه الوحشية الدموية، فها هو وليم براد فورد حاكم مستعمرة « بليموث « يقول « إن نشر هذه الأوبئة بين الهنود عمل يدخل السرور والبهجة على قلب الله، ويفرحه أن تزور هؤلاء الهنود وأنت تحمل إليهم الأمراض والموت. وهكذا يموت ٩٥٠ هندي من كل ألف، وينتن بعضهم فوق الأرض دون أن يجد من يدفنه، إنه على المؤمنين أن يشكروا الله على فضله هذا ونعمته».

ونظرًا لحاجة الأمريكان للأيدي العاملة بنظام السخرة لاستغلال الثروات التي ورثوها عن الهنود، عدلوا عن جزء من استراتجيتهم في القتل، بالإبادة عن طريق نظام السخرة للهنود. ففي عام ١٨٤٦م، احتلت جيوش الأمريكان كاليفورنيا وتقول الإحصائيات أنهم تمكنوا من إبادة ٨٠٪ من هنود كاليفورنيا بالسخرة؛ حيث نشط بجانب ذلك التجارة بالأطفال والنساء. وفي عام ١٨٣٠م، سنَّ الكونجرس الأمريكي قانون ترحيل الهنود قسرًا، وأصبح من حق المستعمر الأمريكي أن يطرد الهندي من أرضه ويقتله إذا أراد.

ويومها حصدت قوات الجيش النظامي الأمريكي من لم يمت من خمسة شعوب هندية كاملة (الشيروكى - والشوكتو - والشيسكومسو - والكريك - والسيميتول) بعد تهجيرهم قسرًا إلى مناطق موبوءة بالكوليرا. وفي حملة ١٧٧٦م على هنود الشيروكى تم إحراق المدن الهندية وأتلفت المحاصيل الزراعية، ومن بقى منهم شردوا إلى الغابات ليقتلوا، ولم تمضِ ثلاث سنوات حتى أصدر جورج واشنطن أوامره للجنود بأن يحيلوا مساكن هنود الأوروكو إلى خراب ومحوها من على وجه الأرض؛ ولذلك أطلق هنود السينيكا على أبي الجمهورية الأمريكية «جورج واشنطن» اسم «هدَّام المدن» فبموجب أوامره تم تدمير ٢٨ مدينة من أصل ٣٠ مدينة كاملة

لهنود السينيكا وحدهم، من البحيرات الكبرى شمالًا وحتى نهر الموهوك، وفي فترة قياسية لا تزيد عن خمس سنوات، وهذا ما تم أيضًا بمدن الموهوك، والأنونداغا، والكايوغا؛ حتى إن أحد زعماء الأروكوا قال لجورج واشنطن خلال لقاء معه، في عام ١٧٩٢م: «عندما يذكر أسمك تلتفت نساؤنا وراءهن مذعورات وتشحب وجوههن، أما أطفالنا فإنهم يتلببون بأعناق أمهاتهم من الخوف».

ومضى الآباء المؤسسون جميعًا على خطى جورج واشنطن. فحتى توماس جيفرسون الملقب برسول الحرية الأمريكية وكاتب وثيقة استقلالها، أمر وزير دفاعه بأن يواجه الهنود الذين يواجهون التوسع الأمريكي بالبلطة، وأن لا يضع هذه البلطة حتى يفنيهم، فقال له: «نعم إنهم قد يقتلون أفرادًا منَّا؛ ولكننا سنفنيهم ونمحو آثارهم من الأرض». وعام ١٦٣٣م كان هنود النارغنستس قد تعرضوا لحرب بالجدري؛ حيث قدَّم إليهم الأمريكان هدايا مسمومة بجراثيم الجدري. وعندما أقام الهنود محاكمة للكابتن جون أولدام بتهمة القتل الجماعي وأعدموه، انتقمت أمريكا بإبادة هنود النارغنستس عام ١٦٣٧م بحرب الجراثيم. ففي عام ١٦٣٦م تظهر أول وثيقة تثبت استخدام الأمريكان للسلاح الجرثومي عمدًا، وقد كتب القائد الإنجليزي العام اللورد «جفري أمهرست» إلى هنري بواكيه «يطلب منه أن يجرى مفاوضات مع الهنود ويقدم لهم بطانيات مسمومة بالجدري، وأجاب بواكيه «سأحاول جاهدًا أن أسمَّهم ببعض الأغطية الملوثة التي سأهديها إليهم. وسوف آخذ الاحتياطات اللازمة حتى لا أصاب بالمرض». وببطاطين ومناديل تم تلويثها في مستشفى الجدري انتشر الوباء بين أربعة شعوب هندية (الأوتاوا - ينيغو – والمايامى الينى ونايبه) وأتى على أكثر من مئة ألف طفل وشيخ وامرأة وشاب، ولطالما وصفت وثيقة (أمهرست) بأنها «حجر رشيد» الحرب الجرثومية. وهناك وثيقة تتحدث عن إهداء أغطية مسمومة بالجدري لهنود « المندان» في فورك كلارك وقد نقلت هذه الأغطية إلى ضحاياها في ٢٠ حزيران يونيو ١٨٣٧م، فحصدت كذلك في أقل من سنة واحدة مائة ألف طفل وشيخ وامرأة وشاب (وهذه أقل التقديرات تواضعًا لعدد الضحايا. وبعد حوالى ١٥ سنة كانت كل الولايات المتحدة تتساءل عن أفضل وسيلة للقضاء على هنود كاليفورنيا. فمع الاستيلاء على هذه الولاية الواسعة من المكسيك وجدت أمريكا نفسها أمام مهمة جديدة وصفتها إحدى صحف سان فرانسيسكوا كما يلي: (إن الهنود هنا جاهزون للذبح وللقتل بالبنادق أو بالجدري ... وهذا ما يتم الآن فعلًا) «راجع صحيفة DAILY ALTA بتاريخ ٦ آذار مارس ١٨٥٣م، وكتاب روبرت هيرز بعنوان THE DESTRACTION OF THE CALIFORNIAN INDIANS ص: ٢٥١).

وفي تلك الفترة كان تسميم الهنود بجراثيم الجدري خطة منظمة تمارسها الدول وبعض الشركات التجارية المختصة، ويتسلَّى بها المستوطنون في حفلات تسلية وصفتها مقالة افتتاحية في (san Francisco bulletin) بأنها تستخدم الجراثيم من أجل الإبادة المطلقة لهذا الجنس اللعين» المقالة منشورة بتاريخ ١٠ تموز يوليو ١٨٦٠م. وفي كتاب هيرز عن تدمير الهنود (ص٢٥٣ - ٢٥٥). :» إن إبادة الهنود الحمر هو الحل الضروري للحيلولة دون تلوث العرق الأبيض وأن اصطيادهم واصطياد الوحوش في الغابات مهمة أخلاقية لازمة لكي يبقى الإنسان الأبيض فعلًا على صورة الله». وفي السياق نفسه يقول «فرانسيس ياركين « أشهر مؤرخ أمريكي في عصره: «إن الهندي نفسه في الواقع هو المسؤول عن الدمار الذي لحق به لأنه لم يتعلم الحضارة، ولابد له من الزوال»، فقد رصدت السلطات الاستعمارية مكافأة لمن يقتل هندي ويأتي برأسه، ثم أكتفت بعد ذلك بسلخ بفروة الرأس، إلا في بعض المناسبات التي تريد التأكد فيها من هوية الضحية. هذا وقد حسب المؤرخ منير العكش عدد ضحايا المجازر الأمريكية في العالم بـ «١١٢» مليون إنسانًا.

وهذا نموذج لجرائم بريطانيا

فقد قال شاشي ثارور، الكاتب والدبلوماسي الهندي، إن الإمبراطورية البريطانية ارتكبت أعمالًا وحشية على مدار تاريخها، واستنزفت بلادًا كانت تحتلها ومولت ثورتها الصناعية بنهب ثروات الشعوب التى كانت تحكمها بالحديد والنار، وفقًا لما أوردته صحيفة الاندبندنت البريطانية.

وأوردت الصحيفة ٥ جرائم وحشية قالت إنها أبرز الجرائم التي ارتكبتها الإمبراطورية البريطانية عبر تاريخها.

١- (خلال حرب البوير الثانية التي امتدت في الفترة من (١٨٩٩ حتى ١٩٠٢) م، قام البريطانيون بجمع نحو سدس عدد سكان البوير، وغالبيتهم نساء وأطفال، وقامت باعتقالهم فى معسكر كان مكتظًّا عن آخره، وتوفي ٢٧,٩٢٧ شخصًا من مجموع ١٠٧ آلاف شخص دخلوا المعتقل، مع عدد غير معروف من الأفارقة السود بسبب الأمراض والأوبئة)

٢- (عندما تحدى متظاهرون مسالمون أمر حكومي وتظاهروا ضد الحكم البريطاني الاستعماري فى أمريتسار فى الهند فى ١٣ أبريل ١٩١٩م؛ قام جنود «الجورخا» بحبسهم داخل حدائق جوليانولا وإطلاق النار عليهم. وكان الجنود يتلقَّون الأوامر من العميد ريجنالد داير، والذى أعطى الأمر بإطلاق النار على المتظاهرين. واستمر الجنود فى إطلاق النار على المتظاهرين لمدة عشر دقائق متواصلة، سقط منهم ما بين ٣٧٩ و١٠٠٠ متظاهر وجرح أكثر من ألف آخرين. وفى وقت لاحق نصب الرأي العام البريطاني العميد ريجنالد داير كبطل، وجمعوا له ٢٥ ألف جنيه إسترليني

اعترافًا بفضله)

٣- (فى عام ١٩٤٧، كلف سريل رادكليف بترسيم الحدود بين الهند وبين باكستان الدولة الناشئة. وبعد أن قام رادكليف بتقسيم القارة الهندية على أسس دينية، أجبر نحو ١٠ ملايين شخص، من الهندوس فى باكستان والمسلمين فى الهند على الفرار من منازلهم؛ لأن الوضع انحدر بسرعة إلى أعمال العنف. وتقول بعض التقديرات أن ما يقرب من مليون شخص لقوا مصرعهم فى مواجهات طائفية)

٤- (ادعى الآلاف من الكينيين من كبار السن أن القوات البريطانية الاستعمارية قامت بإساءة معاملتهم واغتصابهم وتعذيبهم خلال انتفاضة الماو ماو عام في الفترة من (١٩٥١ إلى ١٩٦٠)م، ورفعوا دعوة تعويض بقيمة ٢٠٠ مليون جنية إسترليني ضد الحكومة البريطانية.

واعتقلت القوات البريطانية أفراد من قبيلة كيكيوي فى معسكرات وصفت «بمعسكرات الاعتقال البريطانية» أو معسكرات الاعتقال. وادعى أفراد القبيلة أنهم تعرضوا لتعذيب ممنهج وأنهم عانوا من انتهاكات جنسية خطيرة على أيدى القوات البريطانية. ويقدر المؤرخ ديفيد أندرسون عدد القتلى من الكينيين بـ ٢٠ ألف كينى، بينما تقدر كاولين الكنس بنحو ١٠٠ ألف كيني)

٥- (توفي ما بين ١٢ و٢٩ مليون هندي جراء المجاعات خلال حكم الإمبراطورية البريطانية، والتى قامت بإرسال ملايين الأطنان من القمح من الهند إلى بريطانيا العظمى مع احتدام المجاعة فى الهند.

ففى عام ١٩٤٣م، مات ما يقرب من أربعة ملايين من البنجلاديشيين من الجوع، عندما قام ونستون تشرشل رئيس وزراء بريطانيا بتحويل الطعام للجنود البريطانيين ودول مثل اليونان بينما تجتاح مجاعة قاتلة البنغال. وقال ونستون تشرشل عن مجاعة البنغال: «أنا أكره الهنود، إنهم شعب همجي يعتنقون دين وحشي. إنهم سبب المجاعة لأنهم يتكاثرون مثل الأرانب".

وأما فرنسا فتاريخها تاريخ استعمار ونهب وإبادة واستعباد وحقائق محظورة

إن ذاكرة التاريخ لا تزال شاهدة على ممارسات فرنسا الاستعمارية الممتدة إلى اليوم. وخلال تلك الحقبة السوداء من تاريخ البشرية استغلت فرنسا شعوبًا، ونهبت ثرواتها، وارتكبت مجازر بحقها، فضلًا عن ضلوعها في تجارة العبيد. عقب إطلاق أنشطتها الاستعمارية عام ١٥٢٤م، أسست فرنسا حكمها الاستعماري في عشرين دولة بين شمالي وغربي قارة أفريقيا. وعلى مدار قرابة ثلاثة قرون، خضعت ٣٥٪ من مناطق القارة السمراء للسيطرة الفرنسية الاستعماري. استخدمت فرنسا دولًا أفريقية، مثل السنغال وساحل العاج وبنين، كمراكز لتجارة العبيد، إضافة إلى استغلال ونهب موارد

الدول. واستمرت الفترة الاستعمارية الفرنسية في مختلف المناطق الأفريقية حوالي خمسة قرون. هذا وقد استخدمت فرنسا القمع الدموي. ففي أعقاب الحرب العالمية الثانية اندلعت احتجاجات شعبية في المستعمرات الفرنسية، رفضًا للاستعمار وطلبًا للاستقلال. فردت باريس عليها باستخدام القوة العسكرية؛ فقتلت أكثر من مليوني مواطن أفريقي. كما استخدمت العنف ضد احتجاجات في دول أفريقية حصلت على وعود من باريس بمنحها الاستقلال شرط محاربتها بجانب فرنسا في حروب خاضتها بمناطق عديدة. وواصلت فرنسا استخدام العنف والقوة الدموية بشكل ممنهج في الجزائر، حتى حصل البلد العربي على استقلاله، عام ١٩٦٢م، بعد استعمار دام ١٣٢ عامًا؛ حيث سقط مليون مواطن جزائري ضحية للممارسات الفرنسية، خلال مشاركتهم في الحرب ضد الاستعمار لنيل الاستقلال. فقد مارست فرنسا خلالها إبادة ثقافية بحق المجتمع الجزائري، منذ عام ١٨٣٠م، وعملت على القضاء على الهوية الجزائرية والآثار العثمانية، التي يمتد تاريخها إلى ٣٠٠ عام.

كما ارتكبت فرنسا انتهاكات كبيرة في مجال حقوق الإنسان في الدول التي كانت تمتلك فيها نفوذًا سياسيًّا. وأبرز مثال هي الإبادة الجماعية بحق إثنية «التوتسي» في رواندا، عام ١٩٩٤م، وهي من أكبر عمليات الإبادة في التاريخ؛ إذ سقط فيها قرابة ٨٠٠ ألف قتيل، واتضح فيما بعد أن باريس لعبت دورًا كبيرًا في حدوث تلك الإبادة، حيث غادر الجنود الفرنسيون منطقة الجريمة قبيل وقوعها، رغم تلقيهم معلومات بما سيحدث، بل إن تقارير دولية أفادت بأن جنودًا فرنسيين شاركوا فعليًّا في دعم مرتكبي المجازر في رواندا. وبدلًا من السعي إلى الحيلولة دون وقوع مجازر جماعية في رواندا، قدّمت فرنسا السلاح والدعم اللوجيستي لحكومة «الهوتو»؛ مما أدى إلى رفع دعاوى قضائية بحق باريس حتى الآن. وفوق ذلك فرضت فرنسا حظرًا على الوصول إلى الأرشيف الذي يتوثّق لتلك الجرائم. ورفضت المحكمة الدستورية العليا بفرنسا، في سبتمبر/أيلول ٢٠١٧م، طلبًا قدمه باحث يجري أبحاثًا حول مجازر رواندا، للوصول إلى الوثائق المتعلقة بفترة وقوع تلك المجازر، والموجودة لدى أرشيف رئاسة الجمهورية.

وفي الختام، فإن تاريخ الاستعمار الأمريكي والأوروبي هو تاريخ مليء بالسيطرة والاستغلال والتغوُّل على الشعوب وارتكاب أسوأ أنواع المجازر وصناعة الحروب والموت... ومثل هذه الحضارة البائسة كانت وبالًا على أهلها كذلك، ويجب أن تزول. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

الانقسام الأمريكي يتعمق

بلال العجيلي

كانت أمريكا في بادئ الأمر مستعمرة أوروبية تعيش تحت النفوذ البريطاني حتى اندلعت الثورة سنة ١٧٧٥م ضد الاستعمار الإنجليزي بقيادة جورج واشنطن. وفي عام ١٧٧٦م في فيلادلفيا، أعلن في المؤتمر استقلال المستعمرات تحت اسم الولايات المتحدة ووجدت دولة مستقلة، ثم صارت تنمو حتى صارت دولة كبرى.

واتخذت أمريكا سياسة الانفراد بالنصف الغربي للكرة الأرضية عن طريق تبني مبدأ مونرو، وهو البيان الذي أعلنه الرئيس الأمريكي جيمس مونرو في رسالة سلّمها للكونغرس الأمريكي في ٢ كانون الأول/ديسمبر ١٨٢٣م. نادى مبدأ مونرو بضمان استقلال كلِّ دول نصف الكرة الغربي ضد التدخل الأوروبي بغرض اضطهادهم، أو التّدخّل في تقرير مصيرهم. ويشير مبدأ مونرو أيضًا إلى أن الأوروبيين الأمريكيّين لا يجوز اعتبارهم رعايا مستعمرات لأي قُوى أوروبية في المستقبل. وعليه كانت السياسة الخارجية الأمريكية قائمة على حماية النصف الغربي للكرة من الدول الأخرى الموجودة في العالم، واعتمدت لذلك توازن القوى بين الدول الأوروبية وكانت أعمالها السياسية والعسكرية محصورة في نصف الكرة الغربي ولم تخرج عنه إلا لاحتلال الفلبين بسبب اليابان؛ لأنها كانت تخشى من اليابان واكتفت بذلك. أما ما قامت به في نصف الكرة الغربي فهو بسط سلطانها على أمريكا الجنوبية وعلى الجزر الواقعة هناك، ورسمت سياسة خاصة تجاه أوروبا التي فيها أربع دول كبرى هي ألمانيا وفرنسا وإنجلترا وروسيا، وهذه الدول قد اشتد الصراع بينها وكانت أمريكا تغذي هذا الصراع وسعت لإيجاد توازن القوى بين الدول الأوروبية بحيث لا تتمكن أي دولة من السيطرة على أوروبا وقامت بتبني إنجلترا واحتضانها، وأيَّدتها في سياسة توازن القوى في أوروبا، وكانت تقف مع كل دولة أوروبية تريد دولة أخرى أن تبتلعها، وكانت ألمانيا بدرجة أولى وروسيا بدرجة ثانية تخيفان أمريكا بأن تقوم إحداهما بالسيطرة على أوروبا؛ لذلك دخلت الحرب العالمية ضد ألمانيا عام ١٩١٧م ثم عادت إلى عزلتها في النصف الغربي للكرة حتى الحرب العالمية الثانية.

بعد الحرب العالمية الثانية خرجت دول أوروبا الغربية محطمة الأضلاع، وأما أوروبا الشرقية فقد استولت عليها روسيا، ونما الاتحاد السوفياتي كقوة عسكرية وكدولة تحمل المبدأ

الشيوعي، فأصبحت تشكل خطرًا على توازن القوى في أوروبا، ومن ناحية أخرى نشأت الصين كدولة شيوعية، وكان هذان العاملان دافعًا لأمريكا لدخول العالم سنة ١٩٤٧م، والاشتراك مع الدول الأخرى في سياسة العالم وإدارته، وعلى إثرها تغير نمط السياسة الأمريكية وأصبحت تقوم ببناء الأحلاف العسكرية، مثل حلف الناتو لمجابهة حلف وارسو، وتقوم بإنشاء الأحلاف الثنائية والثلاثية والرباعية العسكرية لضمان مصالحها، وأنشأت مجموعة السبع للسيطرة على السياسات المالية والاقتصادية في العالم وجعل الدولار الأمريكي عملة احتياط عالمية، كل هذا مكَّنها من السيطرة على العالم وضمان مكانتها ونفوذها.

الانقسام الأمريكي وظهور المحافظين الجدد:

بعد انهيار الاتحاد السوفياتي في كانون الأول/ديسمبر ١٩٩١م، أصبحت الولايات المتحدة الدولة الأولى بلا منافس والمهيمنة على السياسة العالمية إلى يومنا هذا، وقد شهدت أول انقسام ظاهر بين الجمهوريين والديمقراطيين سنة ٢٠٠١م عندما تسلم جورج بوش الابن الرئاسة ووصول المحافظين الجدد (بول وولفويتس، وديك تشيني نائب الرئيس ورامسفيلد وزير الدفاع...) للحكم واستغلالهم أحداث ٢٠٠١/٠٩/١١م لشن حرب على الإسلام تحت ذريعة (محاربة الإرهاب)، وإعادة الأسلوب الاستعماري القديم في تصفية الاستعمار القديم باحتلال أفغانستان والعراق وتهديد سوريا بالتدخل.

وأعلن جورج بوش الابن الرؤية الأمريكية في عهد المحافظين الجدد: «إما أن تكون معنا، أو أن تكون مع الإرهابيين» وأسقط سياسة المشاركة التي انتهجها الرئيس الديمقراطي بيل كلينتون واتبع سياسة التفرد، ما دفع الدول الأوروبية وروسيا إلى أن تتكتل ضد أمريكا. وظهر ذلك جليًّا أثناء غزو أمريكا للعراق سنة ٢٠٠٣م؛ حيث لعبت فرنسا وألمانيا وروسيا دورًا محوريًّا في التصدي لأمريكا؛ ما أوجد لها المتاعب في العراق، وكادت أن تخرج محطمة الأضلاع لولا حكام الخيانة في مصر وسوريا والخليج الذين أخرجوها من مأزقها. وقد تكسرت سياسة المحافظين أمام المقاومة الشديدة التي وجدتها بالعراق ما أدى إلى هزيمتهم في الانتخابات الرئاسية ووصول الرئيس الديمقراطي أوباما للحكم سنة ٢٠٠٨م؛ حيث أعاد سياسة المشاركة وحاول ترميم الصورة السيئة التي رسمها المحافظون الجدد عن السياسة الأمريكية في العالم، التي فضحتها انتهاكات سجن باغرام بأفغانستان وسجن أبو غريب بالعراق.

وصول ترامب وتعمّق الانقسام:

ولم تستمرَّ هذه السياسة طويلًا حيث عاد

الجمهوريون من جديد سنة ٢٠١٦م للإمساك بزمام القيادة الأمريكية عبر الرئيس دونالد ترامب الذي تبنَّى مبدأ «أمريكا أولًا» القائم على إعطاء الأولوية للمصالح الأمريكية، وتقليل المساعدات الخارجية، وتوقع مساهمات أكبر من الدول الأخرى في الأمن الدولي لتعود أمريكا إلى انعزاليتها.

وظهر تحول ملحوظ في السياسة الأمريكية، حيث اعتمدت التعاملات الثنائية بدلًا من المتعددة الأطراف، بهدف إبرام صفقات تعتبر مفيدة بشكل مباشر لها، وانسحبت من الاتفاقيات الدولية؛ حيث قامت إدارة ترامب بالانسحاب من ثماني اتفاقيات دولية:

١- الشراكة عبر المحيط الهادئ في كانون الثاني/يناير ٢٠١٧م، مشيرًا إلى أن الاتفاقية كانت ضارة بالعمال الأمريكيين.

٢- اتفاقية باريس في حزيران/يونيو ٢٠١٧م، حيث أعلن ترامب الانسحاب من اتفاقية باريس للمناخ، مستشهدًا بتأثيرها السلبي على الاقتصاد الأمريكي.

٣- اليونسكو في تشرين الأول/أكتوبر ٢٠١٧م، منتقدة إياها بالتحيز ضد كيان يهود!

٤- انسحب ترامب من خطة العمل الشاملة المشتركة، المعروفة باسم الاتفاق النووي الإيراني في أيار/مايو ٢٠١٨م معيدًا فرض العقوبات على إيران.

٥- مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة في حزيران/يونيو ٢٠١٨م، مشيرةً إلى النفاق والتحيز ضد كيان يهود.

٦- معاهدة القوات النووية متوسطة المدى مع روسيا في آب/أغسطس ٢٠١٩م، متهمةً روسيا بعدم الامتثال.

٧- معاهدة الأجواء المفتوحة في أيار/مايو ٢٠٢٠م، متهمةً روسيا بانتهاكات.

٨- منظمة الصحة العالمية في تموز/يوليو ٢٠٢٠م، منتقدًا تعاملها مع جائحة كوفيد-١٩ وتحقيقها المزعوم مع الصين.

ورغم أن أمريكا تحكمها مؤسسات الدولة العميقة مثل البنتاغون والخارجية ولوبيات الضغط من الشركات الكبرى ورؤوس المال النافذين وغيرها، إلا أنه لوحظ منذ عقدين انقسام حاد في مجتمعها، ظهر في البداية على مستوى المؤسسات ووصل بالتدريج إلى الشارع وبلغ ذروته عند هزيمة ترامب أمام جو بايدن في انتخابات ٢٠٢٠م.

وقد اتبعت إدارة بايدن سياسة معاكسة لسياسة ترامب حيث عادت إلى اتفاقية باريس، وأوقفت الانسحاب من منظمة الصحة العالمية، وأعادت التأكيد على الالتزامات تجاه الناتو وغيرها من الهيئات الدولية معتمدة على سياسة أقل شدة من سابقتها مع لين في السير؛ لكنها أشعلت عدة حروب في العالم كالحرب الروسية الأوكرانية والحرب في السودان وعدة انقلابات في بعض الدول، هذا من ناحية

الاختلاف في القرارات والصفقات.

وكانت أول مواجهة مباشرة بين الحزبين وأنصارهما عندما اقتُحم الكونجرس الأمريكي عام ٢٠٢١م على إثر خسارة ترامب الانتخابات، بعد أن طلب ترامب من أنصاره القدوم إلى واشنطن العاصمة، وتحدي الكونغرس ونائب الرئيس مايك بنس لإجبارهم على تجاهل نتائج الانتخابات الرئاسية التي جرت في تشرين الثاني/نوفمبر وإبقاء الرئاسة في يديه، ولما قام جهاز إف بي آي باقتحام منزل الرئيس السابق ترامب ومصادرة عدة وثائق وعرض ترامب للمحاكمات في محاولة لمنعه من الترشح للانتخابات الرئاسية ٢٠٢٤م؛ ما أثار غضب مناصريه وقيامهم بتهديد قاضي مدينة نيويورك بالقتل، وقد توعَّد ترامب أمريكا بمصير أسود قائلًا: «إن الولايات المتحدة ذاهبة إلى الجحيم».

وزاد تأزم هذا الصراع يوم أعلنت ولاية تكساس التمرد على قرارات المحكمة العليا ودعم ٢٥ ولاية جمهورية لحاكم تكساس. يقول الكاتب الأمريكي مالك شرقاوي في حديث لـ(آر تي) الروسية: «إن الحرب الأهلية في أمريكا هي قيد شرارة، ليست خروج تكساس، بل لو تم منع ترامب من دخول انتخابات ٢٠٢٤م أو اغتياله، حينها ستكون هناك حرب أهلية، مليون قطعة سلاح، فالمواطنون في ولايات الجنوب، والجنوب الغربي يحشدون الأسلحة والذخائر تحسبا للجبهة عندما تكون هناك حرب أهلية، وقد أفادت شبكة فوكس نيوز بأن قاضي مدينة نيويورك الذي يشرف على قضية «الأموال الصامتة» التي دفعها الرئيس الأمريكي السابق دونالد ترامب تلقى تهديدات بالقتل وتم تعيين فريق أمني له».

الانتخابات الرئاسية وتأجيج الصراع:

وباقتراب الانتخابات الرئاسية اشتد الصراع بين الحزبين ومناصريهما بالاتهامات والتصريحات ما كرس الانقسام وعمّقه، فوفقا لمقال في الشرق الأوسط ١٨ أيلول/سبتمبر ٢٠٢٤:

وجدت دراسة أن ما يقرب من نصف الجمهوريين قالوا إنهم لن يقبلوا نتائج الانتخابات الرئاسية الأمريكية إذا خسر مرشحهم دونالد ترامب ضد منافسته الديمقراطية كامالا هاريس، فيما أكد بعضهم أنهم «لن يقفوا مكتوفي الأيدي، وسيتخذون إجراءات لإلغاء نتيجة الانتخابات»، وفقًا لصحيفة يو إس إيه توداي الأمريكية.

وفي المقابل، ذكرت الدراسة التي أجراها مشروع العدالة العالمي الذي يقيس قوة سيادة القانون في أكثر من ١٠٠ دولة، أن نحو ربع الديمقراطيين قالوا إنهم لن يقبلوا النتائج إذا خسرت هاريس، وذكر بعض الديمقراطيين وكانوا أقل عددًا من الجمهوريين أنهم «سيتخذون إجراءات لإلغاء النتائج».

ووفقًا للدراسة، فقد ذكر ٤٦٪ من الجمهوريين و٢٧٪ من الديمقراطيين أنهم لن يقبلوا النتيجة في حالة خسارة مرشحهم، وذكر ١٤٪ من الجمهوريين مقارنة مع ١١٪ من الديمقراطيين أنهم «سيتخذون إجراء».

وهذا الانقسام أصاب المؤسسات والدولة العميقة؛ فشركات الطاقة وشركات التكنولوجيا قد أصبحت جزءًا من القرار السياسي في أمريكا بسبب ارتباطها بالحزبين الكبيرين، وبالتالي فهي تغذي الانقسام الحاصل اليوم بينهما. يقول الخبير الاقتصادي عبد الغني الكباج، في مقال نشره موقع «الاقتصادي لكم»، بتاريخ ١٣ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٢٠: «تسيطر الشركات الرأسمالية الكبرى على الاقتصاد والسياسة والمجتمع في أمريكا، ويتم استلاب الشعب الأمريكي، وتتجسد ممارسة سلطة المال والشركات الرأسمالية الكبرى في المجتمع. ويتم إقصاء كل فكر ووعي راديكالي، وتهميشه في المجتمع. ويتم كذلك تشجيع النزعات الرأسمالية اليمينية، وإخضاع الدين المسيحي للرأسمال، وتهميش الحركات الاجتماعية التقدمية التي تناهض سيطرة الرأسمال في حياة الأمريكيين».

وهذا الانقسام بين اليمين واليسار قد أثَّر على السياسة الخارجية الأمريكية؛ فالسياسة الخارجية للدولة هي انعكاس للوضع الداخلي وهذا أظهر الانقسام لبعض السياسات الخارجية مثل قضية فلسطين وحل الدولتين وكيفية إنهاء الحرب الروسية الأوكرانية والتعامل تجاه إيران والصين وغيرها من التفاصيل التي ستختلف في حال فوز أحد المرشحين، أما من حيث بعض السياسات فلن تختلف فسيبقى الدعم المطلق لليهود قائما ومجابهة صعود الصين.

خاتمة

إن هذا الانقسام ليس بجديد على أمريكا، فتاريخها لم يسلم من الدموية والحروب الأهلية، والرأسمالية التي أوجدت الاختلاف الكبير بين الولايات في المستوى الاقتصادي ولم تعالج الانقسامات العرقية بل عمقتها، بالإضافة إلى أزمة مصداقية الفكر والمبدأ، تجعل من المجتمع في أمريكا مفككًا، وإن هذه الأزمات لن تنزل أمريكا من كونها الدولة الأولى في العالم أو تؤدي إلى انهيارها، لكن هذا دليل على عدم صلاحها لحكم العالم وقيادته، ودليل على ضرورة إيجاد بديل لها، خاصة وأن المسلمين يملكون البديل الحضاري القادر على إصلاح العالم ونشر العدل والطمأنينة فيه، وهو ما يؤكد على المسؤولية الجسيمة التي يجب أن يضطلع بها المسلمون لإنقاذ العالم من نير الرأسمالية إلى عدل الإسلام، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾.■

بسم الله الرحمن الرحيم

أين أنتم يا علماء المسلمين ؟!

سلافة شومان

بيت المقدس

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾. وقال رسول الله ﷺ: »صنفان من الناس إذا صلحا صلح الناس وإذا فسدا فسد الناس: العلماء والأمراء«. رواه أبو نعيم في الحلية عن ابن عباس، وذكره السيوطي في الجامع الصغير بهذا اللفظ.

إن العلماء هم مَنْ مَنَّ الله عليهم بفقه الدين وعلوم الإسلام وزكَّاهم بالحكمة والمعرفة، فهم أعلم الناس بالحلال والحرام... إن العلماء هم الأجدر بمعرفة قدْر الله؛ لذلك نجد أن عليهم أن يكونوا أخشى الناس لله، وهم أَولى من يقع على عاتقه حمل لواء العلم ومن ثم العمل على التغيير.

ومن كان كذلك يكون حريصًا على القيام بما فرضه الله عليه من نصرة الحق ونشره، ومناصحة كل من يحتاج إلى النصيحة، سواء أكان من زمرة الحكام أم المحكومين، وتعريف الناس بالحق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ إذ إن ذلك من أعظم الفرائض، قال رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده، لتأمرُنَّ بالمعروف ولتنهوُنَّ عن المنكر أو ليوشكَنَّ أن يبعث الله عليكم عقابًا منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم».

والعلماء هم أولى الناس بمحاربة الظالم وإنصاف المظلوم، قال رسول الله ﷺ: «سيد الشهداء حمزة ورجل قام إلى حاكم ظالم فأمره ونهاه فقتله»، وقال ﷺ: «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر».

ومن يستطيع أن يفرق بين الحق والباطل والعدل والظلم مثل العالم؟! ومن يستطيع أن يعرف طريق الحق والطريقة الشرعية للتغيير مثل العالم؟!، لذلك أخبرنا الرسول ﷺ في الحديث السابق أن صلاح المجتمعات من صلاح الأمراء والعلماء، وأن فسادها من فسادهم. فالأمير إذا همَّ بالإفساد رده العلماء إذا كانوا علماء ربانيِّين. وهؤلاء موجودون في كل مكان وزمان.

و من اللافت أن نصوص الوحي من كتاب وسنة تضافرت على بيان فضل العلم والعلماء وذكر مكانتهم ومن ذلك :

- قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ في الآية بدأ بنفسه ثم ثنَّى بالملائكة وثلَّث بأهل العلم، وناهيك عن ذلك شرفًا وفعلًا...

- وقال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: للعلماء درجات فوق المؤمنين سبعمائة درجة، ما بين الدرجتين خمسمائة عام.

- وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا﴾.

- وقال رسول الله ﷺ: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين ويلهمه رشده».

- وقال رسول الله ﷺ: «العلماء ورثة الأنبياء». ومعلوم أن لا رتبة فوق النبوَّة، ولا شرف فوق الوراثة لتلك الرتبة.

- وقال رسول الله ﷺ: «يستغفر للعالم ما في السموات والأرض». فأي منصب يزيد على منصب من تنشغل ملائكة السموات والأرض بالاستغفار له؟!.

- وقال رسول الله ﷺ: «موت العالم مصيبة لا تجبر وثلمة لا تسد. وموت قبيلة أيسر من موت عالم، وهو نجم طمس» رواه الطبراني عن أبي الدرداء ورفعه.

- وقال رسول الله ﷺ: «يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء».

- وقال ﷺ: «فضلُ العالمِ على العابدِ كفضلي على أدناكم، ثمَّ قالَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ إنَّ اللَّهَ وملائِكتَهُ وأَهلَ السَّماواتِ والأرضِ حتَّى النَّملةَ في جُحرِها وحتَّى الحوتَ ليصلُّونَ على معلِّمِ النَّاسِ الخيرَ

- وقال ﷺ: «فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب».

- وقال ﷺ: « يشفع يوم القيامة ثلاث الأنبياء والعلماء والشهداء».

- وعن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -: «القلوب أوعية، فخيرها أوعاها، احفظ ما أقول لك: الناس ثلاثة: فعالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق. العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال. العلم يزكو على العمل والمال تنقصه النفقة. ومحبة العالم دين يدان بها. العلم يكسب العالم الطاعة في حياته، وجميل الأحدوثة بعد موته. وصنيعة المال تزول بزواله، مات خُزَّان الأموال وهم أحياء والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة»

- وقال أبو الأسود: «ليس شيء أعز من العلم، الملوك حكام على الناس * والعلماء حكام على الملوك».

- وقال ابن عباس - رضي الله عنها -: «خُيِّر سليمان بن داود (عليهما السلام) بين العلم والمال والملك، فاختار العلم فأعطي المال والملك معه».

- وسئل بن المبارك: من الناس؟ فقال: العلماء. قيل فمن الملوك؟ قال: الزهَّاد قيل: فمن السفلة؟ قال: الذين يأكلون الدنيا بالدين.

- وقال الحسن: «لولا العلم لصار الناس مثل البهائم».

- وقال الإمام أبي حامد الغزالي رحمه الله: «فهذه كانت سيرة العلماء وعادتهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقلة مبالاتهم

بسطوة السلاطين؛ لكونهم اتَّكلوا على فضل الله تعالى أن يحرسهم، ورضوا بحكم الله تعالى أن يرزقهم الشهادة، فلما أخلصوا لله النيَّة؛ أثَّر كلامهم في القلوب القاسية، فليَّنها، وأزال قساوتها. وأما الآن؛ فقد قيَّدتِ الأطماع ألسن العلماء فسكتوا، وإن تكلموا لم تساعد أقوالَهم أحوالُهم، فلم ينجحوا، ولو صَدَقوا وقصدوا حقَّ العلم؛ لأفلحوا. ففساد الرعايا بفساد الملوك، وفساد الملوك بفساد العلماء، وفساد العلماء باستيلاء حبِّ المال والجاه، ومن استولى عليه حب الدنيا لم يقدر على الحسبة على الأراذل، فكيف على الملوك والأكابر».

فمن خلال هذه النصوص من آيات وأحاديث وأقوال مأثورة نجد المكانة التي أحاط بها الإسلام العلماء، وذلك لدورهم العظيم في حمل راية الهداية والدعوة والنصح لهذه الأمة حيث إنهم بعلمهم حملوا هذه الأمانة وكانوا محل الثقة والأولى بالاتباع؛ هذا إذا كانوا علماء ربانيين أعوانًا للحق على الباطل حريصين على النصح للحاكم، وهذا ما كان يتمتع به العلماء في العالم الإسلامي إبان الدولة الإسلامية في مختلف العصور، وهناك الكثير من النماذج على مقارعة الظالمين وأهل الباطل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في تاريخنا الإسلامي المجيد،

هكذا هم العلماء الربانيون، وهكذا كان موقفهم في كل عصر من عصور الإسلام: نصرة للحق لا يخشون في الله لومة لائم، يبغون الآخرة ولا يبالون بهذه الدنيا الفانية...

فأين أنتم با علماء أمتنا في يومنا هذا وأحوال الأمة تتردَّى من سيئ إلى أسوأ، وقد تكالبت عليها الأمم الكافرة من كل حدب وصوب، لا يتألَّفون فيما بينهم إلا حين يعلنون الحرب على الإسلام والمسلمين؟!... أين أنتم فيما يحدث اليوم بعد طوفان الأقصى وقد بان عوار الأنظمة العميلة وبان حقد الشرق والغرب على الإسلام والمسلمين؟!... هي حرب شعواء لا هوادة فيها، والأمة تحتاج إلى من يعزز ثقتها بدينها وبنفسها، ومن يقف إلى جانبها في استنصار أصل القوة والمنعة لنصرة الحق وتحرير البلاد والعباد.

أيها العلماء، اعلموا أنكم حملتم هذه الأمانة، فإما أن تؤدُّوها بحقها وتبرِّئوا ذمتكم أمام الله وتستحقُّوا الثواب في الدنيا والآخرة، وإما أن لا تنالوا هذه الدرجة وتتقاعسوا عن هذا الواجب العظيم، ووقتها عليكم أن تقرِّروا بماذا ستجيبون الله يوم العرض العظيم وقد خنتم هذه الأمانة؟!. ولتعلموا أيها العلماء أن الرسول ﷺ قد أخبرنا عن زمننا هذا؛ حيث يكون الناس فسطاطين: فسطاط إيمان لا نفاق فيه، وفسطاط نفاق لا إيمان فيه.

فمن منكم يعيد سيرة ابن تيمية والعز بن عبد السلام فيكون عالمًا ربانيًّا هاديًا لدين الحق، وارثًا للنبوَّة، لا يخشى إلا الله، يقول الحق لا يخشى في الله لومة لائم.■

(إسرائيل) أكبر متلق للمساعدات العسكرية الأمريكية في التاريخ

في الحرب العدوانية الوحشية التي تشنها (إسرائيل) على غزة، واصلت الولايات المتَّحدة إغداق المساعدات المالية والعسكرية على حليفتها (إسرائيل) بشكل بدا وكأنها تخوض حربًا بالوكالة عنها في الشرق الأوسط لإعادة ترتيبه وفقًا لما تقتضيه المصالح الأميركية. لقد كانت أرقام المساعدات الأميركية للكيان ضخمة، فبحسب تقرير حديث صادر عن مشروع تكاليف الحرب التابع لجامعة براون الأميركية فإن الولايات المتحدة أنفقت ١٧,٩ مليار دولار على المساعدات العسكرية لـ(إسرائيل) خلال عام واحد منذ اندلاع معركة طوفان الأقصى. وبحسب التقرير الذي نشره موقع «تايمز أوف إسرائيل» مؤخرًا فإن (إسرائيل) أكبر متلقٍّ للمساعدات العسكرية الأميركية في التاريخ؛ إذ حصلت على ٢٥١,٢ مليار دولار منذ عام ١٩٥٩م. وكعادته كان معهد واتسون للشؤون الدولية والعامة التابع لجامعة براون الأميركية سبَّاقًا في إصدار تقرير بعنوان «إنفاق الولايات المتّحدة على العمليات العسكرية (الإسرائيلية) والعمليات الأميركية ذات الصلة في المنطقة خلال الفترة: ٧ أكتوبر/ تشرين الأوّل ٢٠٢٣ - ٣٠ سبتمبر/ أيلول ٢٠٢٤» فقد أبرمت إدارة بايدن ما لا يقلّ عن ١٠٠ صفقة أسلحة مع (إسرائيل)، كما وصلت تكلفة العمليات الدفاعية والهجومية، التي تقوم بها الولايات المتحدة في اليمن ومنطقة البحر الأحمر ردًّا على هجمات الحوثيين المرتبطة بحرب الإبادة الجماعية في غزة، إلى ٤,٨٦ مليارات دولار علاوة على ذلك. أعلن البيت الأبيض في ١٣ أغسطس/ آب ٢٠٢٤م عن اتِّفاقيات بيع أسلحة إضافية للكيان الصهيوني بقيمة ٢٠,٣ مليار دولار ستدخل حيِّز التنفيذ في السنوات المقبلة بعد الحصول على موافقة الكونغرس الأميركي، وتندرج تلك الاتِّفاقيات ضمن برنامج المبيعات العسكرية الأجنبية. من المتوقَّع أن تتسلَّم (إسرائيل) بموجب تلك الاتِّفاقيات ٥٠ طائرة مقاتلة من طراز بوينغ F-١٥ بتكلفة ١٨,٨ مليار دولار. تُعد الولايات المتّحدة أكبر مورِّد للأسلحة لـ(إسرائيل) لأكثر من خمسة عقود وتلتزم بالحفاظ على التفوُّق العسكري النوعي للكيان الصهيوني على دول الشرق الأوسط، فعلى سبيل المثال. وتُعدّ إسرائيل الدولة الوحيدة في المنطقة التي تمتلك وتستخدم أحدث الطائرات المقاتلة الأميركية مثل طائرة F-٣٥. لا يقف الأمر عند هذا الحدّ فحسب، بل يتجاوزه لكون (إسرائيل) الدولة الوحيدة المسموح لها بتأجيل المدفوعات المتعلِّقة بتسلّم المعدَّات العسكرية الأميركية إلى السنوات القادمة، كما

يُسمح لـ(إسرائيل) بإنفاق ٢٥٪ من المساعدات العسكرية السنوية الروتينية التي تتلقَّاها من الولايات المتّحدة على صناعة الأسلحة الخاصّة بها وتطويرها، ولا تنطبق مثل هذه الاستثناءات على أيّة دولة أخرى في العالم.

الوعي: تدعم الولايات المتّحدة الكيان الصهيوني وتقوم بحمايته باعتباره أداةً لتنفيذ استراتيجياتها في الشرق الأوسط وردع القوى الإقليمية المعادية لسياساتها من ناحية أخرى، وخير دليلٍ على ذلك مقولة الرئيس الأميركي جو بايدن «لو لم تكن إسرائيل موجودة، لكان علينا اختراعها».

يعلون يتمسك باتهامه (إسرائيل) بارتكاب جرائم حرب

اتهم وزير الدفاع (الإسرائيلي) السابق موشيه يعلون (إسرائيل) بارتكاب جرائم حرب وتطهير عرقي في قطاع غزة، وهو اتهام استنكرته الحكومة بشدة. وقال يعلون الجنرال السابق ذو المواقف المتشددة لوسائل إعلام (إسرائيلية) إن المتشددين في الحكومة اليمينية المتطرفة التي يقودها رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو يسعون إلى طرد الفلسطينيين من شمال غزة ويريدون معاودة إنشاء مستوطنات يهودية هناك. وذكر يعلون لهيئة البث العامة (الإسرائيلية) «راديو كان» «أنا ملزم بالتحذير مما يحدث هناك ويجري إخفاؤه عنا». وأضاف: «في نهاية المطاف، تُرتكب جرائم حرب». ويعلون رئيس سابق لهيئة أركان الجيش (الإسرائيلي)، وكان أيضًا وزيرًا للدفاع في حكومة نتنياهو من ٢٠١٣ إلى ٢٠١٦، وتحوَّل منذ ذلك الحين إلى انتقاد نتنياهو. واتهم حزب ليكود، الذي ينتمي إليه نتنياهو، يعلون بنشر «أكاذيب مفتراة». وبعد أن رفض يعلون، الذي شغل أيضًا منصب رئيس أركان الجيش، التراجع عن تصريحاته الحادة بأن بلاده تنفّذ في قطاع غزة عملية تطهير شعب، وزاد عليها تصريحًا جديدًا قال فيه إن الجيش (الإسرائيلي) لم يعد «الأكثر أخلاقية في العالم»، وإنه يرتكب حاليًّا جرائم حرب ضد الإنسانية. وفي الوقت نفسه، قرر رئيس أركان الجيش، هرتسي هليفي، منع حضور يعلون في أي اجتماع أمني أو إلقاء محاضرات أمام الجنود. ويذكر أن المعارضة الإسرائيلية التي يعمل معها يعلون ضد نتنياهو، لم تحتمل وصفه الحرب في غزة بأنها «تطهير عرقي»، وصُعقت تمامًا من قوله إن الجيش يرتكب هناك جرائم حرب، وراحت تهاجمه بشدة. ومن هذا المنطلق يبدو أن الغضب من يعلون أن أقواله جاءت بمثابة شاهد من أهل البيت.

الوعي: لا شك أن ما يقوم به نتنياهو من مجازر بحق أهل غزة والضفة ولبنان، ويؤيده في ذلك الغالبية العظمى من اليهود، يعارض الفطرة الإنسانية، وهو من هذا المنطلق اندفع إلى التصريح بهذا الشكل... إن (إسرائيل) ستلقى جزاءها من هذه الأمة، قال رسول الله ﷺ «تقاتلكم يهود فتقتلونهم» ذلك وعد غير مكذوب... وعندها سيعلم الظالمون أي منقلب ينقلبون.

رويترز: تركيا سلمت المتهمين بقتل الحاخام كوغان للإمارات

قال مصدر أمني تركي لوكالة رويترز إن ٣ مشتبه بهم متهمين بقتل الحاخام (الإسرائيلي) زفي كوغان في الإمارات أُلقي القبض عليهم بإسطنبول في عملية سرية نفذتها أجهزة المخابرات والشرطة التركية هذا الأسبوع. وأضاف المصدر أن المشتبه بهم، وجميعهم من أوزبكستان، تم تسليمهم إلى الإمارات بناء على طلب من الحكومة الإماراتية. وتقدمت الخارجية الإماراتية -في منشور على حسابها بمنصة إكس- بالشكر للسلطات التركية «على تعاونها في القبض على الجناة». وكانت وزارة الداخلية الإماراتية قد كشفت أن المشتبه بهم الثلاثة بقتل الحاخام (الإسرائيلي) الذي هو من أصل مولدوفي زفي كوغان يحملون الجنسية الأوزبكية وهم: أولمبي توهيروفيتش (٢٨ عامًا) ومحمود جون عبد الرحيم (٢٨ عامًا) عزيزبيك كاملوفيتش (٣٣ عامًا)». وأضافت أن السلطات الأمنية المختصة بدأت في إجراء التحقيقات الأولية معهم تمهيدًا لإحالتهم إلى النيابة العامة لاستكمال التحقيقات، من دون إضافة مزيد من التفاصيل. وكانت الوزارة قد أعلنت عن تمكُّنها «في وقت قياسي من القبض على الجناة». ويعتبر كوغان أحد ممثلي حركة «حباد» اليهودية في الإمارات، ويحمل الجنسية المولدوفية إلى جانب الجنسية (الإسرائيلية.)، كما كان يقيم في الإمارات بشكل رسمي بصفته مساعدًا للحاخام اليهودي الأكبر في أبو ظبي، وفق ما ذكرت صحيفة يديعوت أحرونوت (الإسرائيلية).

الوعي: هذا هو أردوغان، وهذا هو نظامه البائس إسلاميًّا... هذا مثل من خياناته، والتي لو جمعت لشكلت جبلًا من القاذورات التي تنتن الأنوف... هذا مثل من أمثلة حكام الجبر والجور الذين لا فرج للأمة إلا بالخلاص منهم ورميهم في مذبلة التاريخ، وحسبهم جهنم وبئس المصير.

فريق ترمب للشرق الأوسط... «أصدقاء لـ(إسرائيل)» ولا يُخفون انحيازهم لها

يمكن الحكم مبكرًا على السياسة التي سيتبعها أي رئيس أمريكي منتخب من خلال معرفة توجهات من يعينهم مساعدين له، قبل استلام منصبه. وتوحي تعيينات ترامب لملف السياسة الخارجية أنه سيعتمد نهجًا راديكاليًا في التعامل مع القضايا التي تهم (إسرائيل) ومصالحها الاستراتيجية؛ حيث تضم حكومته صقورًا من ذوي التفكير المؤيد بقوة لـ(إسرائيل)، وهذا ما دعا الوزير (الإسرائيلي) المتشدِّد سموتريتش أن عام ٢٠٢٥ سيكون «عام السيادة» (الإسرائيلية) على «يهودا والسامرة»، مضيفًا أنه أصدر تعليماته للسلطات (الإسرائيلية) بالبدء في العمل التحضيري لضم الأراضي الفلسطينية المحتلة.

- قام ترامب باختيار سفير بلاده لدى (إسرائيل) حاكم أركنساس السابق مايك هاكابي - المعروف بمواقفه اليمينية المتطرفة ضد الفلسطينيين وأراضيهم المحتلة - ضمن السلة الأولى لمرشحيه

في المناصب العليا. هذا وقد جاء تعيين هاكابي بعد ٣ أيام فقط من إعلان نتائج الانتخابات الأمريكية. وبحسب صحيفة هآرتس (الإسرائيلية)، كان هاكابي ناشطًا في «رابطة الدفاع اليهودية» التي أسسها الحاخام اليميني المتطرف مائير كاهانا، وتتخذ من الولايات المتحدة مقرًّا لها. استقبل هذا التعيين بفرح من وزيرين من أقصى اليمين في حكومة نتنياهو: وزير المالية المتطرف بتسلئيل سموتريتش ووزير الأمن القومي المتطرف إيتمار بن غفير. ودعم هاكابي «اتفاقات الإبراهيمية»، التي توجَّت جهود ترمب لتطبيع العلاقات بين (إسرائيل) وعدد من الدول العربية. فالرجل قس معمداني قام بعشرات الرحلات إلى (إسرائيل) وفي حفل وضع حجر الأساس لإحدى كبرى المستوطنات (الإسرائيلية) في الضفة الغربية عام ٢٠١٧م قال إنه «لا يوجد شيء اسمه مستوطنة. إنها مجتمعات، إنها أحياء، إنها مدن». كما أنه «لا يوجد شيء اسمه احتلال». ومما قاله القس المعمداني هذا إن (إسرائيل) لديها «سند ملكية أعطاه الله لإبراهيم وورثته» على «يهودا والسامرة»، أي الضفة الغربية المحتلة عندما احتلتها (إسرائيل) في حرب الشرق الأوسط عام ١٩٦٧م.

- كما اختار ترمب بطلة أخرى لـ(إسرائيل)، وهي النائبة الجمهورية عن نيويورك أليز ستيفانيك، لتكون المندوبة الأميركية الدائمة لدى الأمم المتحدة. وبعد هجوم «حماس» ضد المستوطنات والكيبوتزات (الإسرائيلية) المحيطة بغزة في ٧ أكتوبر (تشرين الأول) ٢٠٢٣م، ظلّت ستيفانيك منتقدة صريحة لتعامل الأمم المتحدة مع الحرب. كما تصدَّرت عناوين الأخبار.

- لقد كان من المفارقة أن ترامب سمى هاكابي سفيرًا في (إسرائيل)، والمستثمر العقاري ستيفن ويتكوف مبعوثًا خاصًا للشرق الأوسط قبل أن يرشح السيناتور ماركو روبيو وزيرًا للخارجية. وسيشغل ويتكوف (هو صديق قديم لترمب في لعبة الغولف، وكان معه خلال محاولة الاغتيال الثانية في سبتمبر (أيلول) الماضي) منصب المبعوث الأميركي الخاص إلى الشرق الأوسط. وليس لويتكوف خبرة واضحة في السياسة الخارجية؛ لكنه أشاد دائمًا بتعاملات ترامب مع (إسرائيل).

- أما ماركو روبيو، وهو السيناتور الذي عينه ترامب وزيرًا للخارجية فقد أكد أنه يؤيد الحرب (الإسرائيلية) في غزة، ملقيًا تبعات العدد الهائل للضحايا بين المدنيين الفلسطينيين على «حماس» التي «تستخدمهم دروعًا بشرية». وقال خلال مناسبة مع الزمالة الدولية للمسيحيين واليهود إنه «رغم فظاعة النازيين، فإنهم لم ينشروا فظائعهم على وسائل التواصل الاجتماعي، ويحاولون الترويج لما كانوا يفعلونه للعالم». وأضاف: «هذا ما يجعل هذا الشيء المروع الذي فعلته (حماس) عام ٢٠٢٣م أسوأ بكثير، بالنسبة لي، لأنهم يريدون من الجميع أن يُرى ما فعلوه». وهو أكد أنه «ليس هنا ليرسم سياسة، بل لتنفيذ أجندة الرئيس». وكذلك فعل هاكابي الذي قال: «لن أضع السياسة. سأنفذ سياسة الرئيس».

الوعي: إن هذه التعيينات تنبئ بصورة سوداوية مقبلة على المسلمين في عهد ترامب؛ ولكن الأمة ستبقى على عهد ربها ولا تنتظر النصر لإلا منه سبحانه وتعالى.

قال الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ... ﴾

قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾﴾ [إبراهيم: ٤٢]

جاء في خواطر الشيخ محمد متولِّي الشعراوي في تفسيره لهذه الآية:

(وبعد أن ذكر الحق سبحانه وأوضح النِّعم العامة على الكون، والنعم الخاصة التي أنعم بها سبحانه على مَنْ توطَّنوا مكة، ومن نسلهم مَنْ وقف ضد رسول الله ﷺ موقف العَنَت، بعد ذلك جاء الحق سبحانه بهذه الآية تعزيةً وتسرية عن رسول الله ﷺ. وأرضية التصوير التي سبقتْها تشتمل بداية التكوين لهذا المكان الذي وُجدوا فيه، وكيفية مَجِيء النعم إلى مَنْ توطَّنوا هذا المكان؛ حيث تجيء إليهم الثمرات، ونعمة الـمَهَابة لهم حيث يعصف سبحانه بمَنْ يُعاديهم كأبرهة ومَنْ معه ﴿جَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾ [الفيل: ٥]؛ حيث يقول سبحانه من بعد هذه الآية مباشرة: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾﴾ [قريش: ١-٤].

ورغم ذلك وقفوا من دعوة رسول الله ﷺ موقف الإنكار والتعنُّت والتصدِّي والجُحُود، وحاولوا الاستعانة بكل خُصوم الإسلام؛ ليحاربوا هذا الدين؛ ولذلك يوضح الحق سبحانه هنا تسريةً عن الرسول الكريم ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ...﴾ لماذا؟ وتأتي الإجابة في النصف الثاني من الآية: ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾. وقوله الحق: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ...﴾ أي: لا تظنّ؛ فَحَسِب هنا ليست من الحساب والعدّ؛ ولكنها من (حسب) (يحسب)؛ وقوله الحق الذي يوضح هذه المسألة: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾.

والغفلة التي ينفيها سبحانه عنه هي السَّهْو عن أمر لعدم اليقظة أو الانتباه، وطبعًا وبداهةً فهذا أَمْرٌ لا يكون منه سبحانه، فهو القيُّوم الذي لا تأخذه سِنَة ولا نوم. وهنا يخاطب الحق سبحانه رسوله والمؤمنين معه تبعًا. فحين يخاطب الحق سبحانه رسوله ﷺ فهو يخاطب في نفس

الوقت كلَّ مَنْ آمن به؛ ولكن، أكانَ الرسول يظنُّ الله غافلًا؟ لا. ولنلحظْ أن الله حين يُوجِّه بشيء فقد يحمل التوجيه أمرًا يُنفّذه الإنسانُ فعلًا؛ ويطلب الله منه الاستدامة على هذا الفعل. والـمَثَلُ: حين تقول لواحد: (لا تشرب الخمر) وهو لا يشرب الخمر؛ فأنت تطالبه بقولك هذا أنْ يستمرَّ في عدم شُرْب الخمر، أي: استمِرَّ على ما أنت عليه، فعلًا في الأَمْر، أو امتناعًا في النهي.

وهل يمكن أن تأتي الغفلة لله؟ وأقول: حين ترى صفةً توجد في البشر؛ ولا توجد في الحق سبحانه فعليك أنْ تُفسِّر الأمر بالكمالات التي لله. والذي يفعل ظلمًا سيتلقى عقابًا عليه، وحين يتأخر العقاب يتساءل الذين رَأَوْا فِعْل الظُّلم فهم يتهامسون: تُرَى هل تَمَّ نسيان الظلم الذي ارتكبه فلان؟ هل هناك غفلة في الأمر؟ وهم في تساؤلاتهم هذه يريدون أن يعلنوا موقفهم من مرتكب الذنب؛ وضرورة عقابه، وعلى ذلك نفهم كلمة ﴿غَٰفِلًا﴾ في هذه الآية بمعنى (مُؤجِّل العقوبة).

ولمن يتساءلون عليهم أنْ يتذكَّروا قول الحق سبحانه: ﴿وَأُمْلِى لَهُمْۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾﴾ وعلى ذلك فليست هناك غفلة؛ ولكن هناك تأجيل للعقوبة لهؤلاء الظالمين؛ ذلك أن الظلم يعني أَخْذ حقٍّ من صاحبه وإعطاءه للغير؛ أو أَخْذه للنفس. وإذا كان الظلم في أمر عقديّ فهو الشرك، وهو الجريمة العظمى، وإنْ ظلمتَ في أمر كبيرة من الكبائر فهذا هو الفِسْق، وإنْ ظلمتَ في صغيرة فهو الظلم؛ ولذلك نجد الحق سبحانه وتعالى يُورِد كل حكم يناسب الثلاثة مواقف؛ فيقول عن الذي تغاضى عن تجريم الشرك: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، ويقول عن تجريم كبيرة من الكبائر: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ ويقول عمَّنْ يتغاضى عن تجريم صغيرة بما يناسبها من أحكام الدين: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

وإذا وُجِد محكوم عليه، وهو واحد- بأحكام متعددة فالحكم مُتوقِّف على ما حكم به، وحين ننظر في مسألة الظلم هذه نجد أن الظالم يقتضي مظلومًا، فإنْ كان الظُّلْم- والعياذ بالله- هو ظُلم القمة وهو الشرك بالله، فهذا الظلم ينقسم- عند العلماء- إلى ثلاثة أنواع: **النوع الأول:** وهو إنكار وجود الله وألوهيته دون أن ينسبها لأحد آخر؛ وهذا هو الإلحاد، وهو ظُلْم في واجب وجوديته سبحانه. **والنوع الثاني:** هو الاعتراف بألوهية الله وإشراك آخرين معه في الألوهية، وهذا الشرك ظُلْم للحق في ذاتية وواحدية تفرُّده، **والنوع الثالث:** هو القول بأن الله مُكوَّن من أجزاء؛ وهذا ظُلْم لله في أحدية ذاته. ويقول بعض العارفين: أن أول حقٍّ في الوجود هو وجوده سبحانه...

والظلم الذي ورد في الآية التي نحن بصدد خواطرنا عنها، وظلم القمة؛ ظُلْم في العقيدة الإلهية، ومعه ظلم آخر هو ظلم الرسول ﷺ. ويُلخِّص الشاعر ظُلْمهم للرسول ﷺ فيقول:

لَقَّبتمُوه أَمِينًا في صِغَرٍ وَمَا الأمينُ على قَوْل بِمُتَّهِمِ

وهم قد سَمَّوا الرسول من قبل الرسالة بالأمين؛ وبعد الرسالة نزعوا منه هذا الوصف، وكانوا يَصِفونه قبل الرسالة بالصادق، ولم يقولوا عنه مرة قبل الرسالة إنه ساحر، ولم يتهموه من قبل الرسالة بالجنون. فكيف كانت له أوصاف الصِّدق والنطق بالحق؛ والتحدث عن رجاحة قدرته في الحكم؟ كيف كانت له تلك الصفات قبل الرسالة؛ وتنزعونها منه من بعد الرسالة؟ إن هذا هو ظلم سلْب الكمال، فقد كان للرسول ﷺ كما قبل أن يُرسلَ؛ فظلمتموه بعد الرسالة وأنكرتم عليه هذا الكمال؛ وهو ظُلْم مُزْدَوج. فقد سبق أن اعترفتم له من قبل الرسالة بالأمانة؛ ولكن من بعد الرسالة أنكرتُم أمانته، وكان صادقًا من قبل الرسالة؛ وقلتم إنه غَيْر صادق بعدها. ولم تكن له صفة نَقْص قبل الرسالة؛ فجئتم أنتم له بصفة نقص؛ كقولكم: ساحر، كاهن؛ مجنون، وفي هذا ظُلْم للرسول ﷺ.

وهذا أيضًا ظُلْم للمجتمع الذي تعيشون فيه؛ لأن مَنْ يريد استمرار الاستبداد بكلمة الكفر، ويريد أن يستمرَّ في السيادة والاستغلال والتحكُّم في الغير؛ فكُلُّ ذلك ظُلْم للمجتمع؛ وفوق ذلك ظُلْم للنفس؛ لأن مَنْ يفعل ذلك قد يأخذ متعة بسيطة؛ ويحرم نفسه من متعة كبيرة، هي متعة الحياة في ظِلِّ منهج الله، وينطبق عليه قول الحق الرحمن: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

وفوق ظُلْم النفس وظُلْم المجتمع هناك ظُلْم يمارسه هذا النوع من البشر ضد الكون كُلِّه فيما دون الإنسان؛ من جماد وحيوان ونبات؛ ذلك أن الإنسانَ حين لا يكون على منهج خالقه؛ والكون كله مُسخَّر لمنهج الخالق؛ فلن يرعى الإنسانُ ذلك في تعامله مع الكون، وسبحانه القائل: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾. حين يُسبِّح كل ما في الكون ويشذّ عن ذلك إنسانٌ لا يتبع منهج الله؛ فالكون كله يكرهه، وبذلك يظلم الإنسان نفسه ويظلم الكون أيضًا. وهكذا عرفنا ظُلْم القمة في إنكار الألوهية؛ أو الشرك به سبحانه، أو توهُّم أنه من أجزاء، وظُلْم نزع الكمال عن الرسول، وهو الواسطة التي جاءت بخبر الإيمان، وظُلْم الكون كله؛ لأن الكون بكل أجناسه مُسبّح لله.

وقول الحق سبحانه: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ نجد فيه كلمة (يعمل). ونعلم

أن هناك فَرْقًا بين (عمل) و(فعل)، والفعل هو أحداث كل الجوارح، ما عدا اللسان الذي يقال عن حدثه (القول). فكل الجوارح يأخذ الحادث منها اسمًا؛ وحدث اللسان يأخذ اسمًا بمفرده، ذلك أن الذي يكب الناس على مناخرهم في النار إنما هو حصائد ألسنتهم، والفعل والقول يجمعهما كلمة (عمل). وهنا في الآية التي نحن بصدد خواطرنا عنها يقول الحق سبحانه (يعمل)؛ ذلك أن المشركين الذين استقبلوا القرآن كانوا يُرْجِفون بالإسلام وبالرسول ﷺ بالكلام؛ وكل الأفعال التي قاموا بها نشأتْ عن طريق تحريض بالكلام. وتأتي هذه الآية الكريمة التي يُؤكّد فيها سبحانه أنه يُمكّن لهم الذنوب ليُمكّن لهم العقوبة أيضًا، ويأتي قوله: ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾. ونعلم أنه قد حدثتْ لهم بعضٌ من الظواهر التي تؤكد قُرْب انتصار رسول الله ﷺ، فَقُتل صناديدهم وبعض من سادتهم في بدر؛ وأُسِر كبراؤهم، وهكذا شاء سبحانه أنْ يأتيَ بالوعد أو الوعيد؛ .

جاء بالأمر الذي يدخل فيه كُلُّ السامعين، وهو عذابُ الآخرة؛ إنْ ظَلُّوا على الشرك ومقاومة الرسالة.وقوله: ﴿تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ يعني: تفتح بصورة لا يتقلَّب بها يَمْنة أو يَسْرة من هَوْل ما يرى؛ وقد يكون عدم تقلُّب البصر من فَرْط جمال ما يرى، والذي يُفرِّق بينهما سِيَال خاص بخَلْق الله فقط؛ وهو سبحانه الذي يخلقه.

فحين ترى إنسانًا مذعورًا من فَرْط الخوف؛ فسِحْنته تتشكَّل بشكل هذا الخوف، أما مَنْ نظر إلى شيء جميل وشَخصتْ عيناه له، يصبح لملامحه انسجامُ ارتواء النظر إلى الجمال... ويمكننا أن نفرق بين الخائف وبين المستمتع بملامح الوجه المنبسطة أو المذعورة. ونعلم أن البصر ابن للمَرائي؛ فساعة تتعدّد المرائي؛ فالبصر يتنقّل بينها؛ ولذلك فالشخص الـمُبصر مُشتَّت المرائي دائمًا؛ ويتنقل ذِهْنه من هنا إلى هناك. أما مَنْ أنعم الله عليهم بنعمة حَجْز أبصارهم- المكفوفين- فلا تشغله المرائي؛ ولذلك نجدهم أحرصَ الناس على العِلْم؛ فأذهانهم غير مشغولة بأيِّ شيء آخر، وبُؤْرة شعور كل منهم تستقبل عن طريق الأذن ما يثبت فيها؛ ولذلك يقال عنهم (صناديق العلم) إنْ أرادوا أنْ يعلموا؛ فلا أحدَ من الذين يتعلمون منهم يكون فارغًا أبدًا؛ مثَله مِثل الصندوق الذي لا يفرغ.. .

ونجد الحق سبحانه يقول في موقع آخر من القرآن: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ فمرّة تشخص الأبصار، ويستولي الرعب على أصحابها فلا يتحولُّون عن المشهد الـمُرْعِب، ومرَّة تزوغ الأبصار لعله يبحث لنفسه عن مَنْفذ أو مَهْربٍ فلا يجد.

ويكمل الحق سبحانه صورة هؤلاء الذين تزوغ أبصارهم، فيقول: ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ﴾.■

بسم الله الرحمن الرحيم

الثبات وتحمل الشدائد

(بعض ما لقي رسول الله ﷺ من قومه من العذاب والأذى)

أبي الحارث التميمي

بِسْمِ اللهِ الرّحْمَنِ الرّحيم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۝٧ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝٨ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ۝١٠ وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ۝١١ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ۝١٢ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ۝١٣ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ۝١٤﴾ [المزمل: ١-١٤].

عندما رأفتْ أمُّ المؤمنينَ خديجةُ بنتُ خوْيلدَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا لحالِ الرسولِ ﷺ وهيَ تراهُ يحملُ الرسالةَ الجديدةَ لقومهِ ويتعبُ ويكدُّ ويلقى ما يلقى في حملِها، قالتْ لهُ: اِرتحْ يابنَ عمِّ. فأجابها ﷺ: **«لا راحةَ بعدَ اليومَ يا خديجة»**. فالأمرُ في نظرِ رسولِ اللهِ ﷺ أعظمُ مِن أن يحسبَ فيه للراحةِ حسابًا. وثقلُ همِّ الدعوةِ كثقلِ حملِها، نقيضانِ للراحةِ، إذا أدركَ حاملُ الدعوةُ مسؤولياتِه في الدعوةِ، واستشعرَ عظمَ العملِ الذي هوَ بصددِه. والثبات على حمل الدعوة أيها الإخوة، أن يستمر حامل الدعوة في حملها دونما كلل أو ملل، وأن يصبر على شدائدها مهما اختلفت هذه الشدائد وتنوَّعت، فقد تكون نفورًا من النّاس، وقد تكون ملاحقة من السلطة، وقد تكون في قطع رزق وضنك في العيش، وقد تتعدى ذلك كله فتكون القتل في سبيل هذه الدعوة.

ولم يزل رسول الله ﷺ هو القدوة فينا، به نتأسى وبهداه نسترشد، ولم يزل صحابته هم المثال الصادق لحملة الإسلام، نسلي أنفسنا بسيرتهم ونستصغر ما نقدمه تجاه ما قدموه، وما هذه الكلمة إلا وقفة يسيرة مع السيرة الطيبة للرسول ﷺ وصحبه الكرام رضي الله عنهم في مكة المكرمة، مهد الرسالة، وموضع التفاعل، وموطن اختبار الثبات على الدعوة وتحمل شدائدها؛ لنرى ونستهدي بسيرتهم وهم يعملون لإقامة دولة الإسلام التي كرمنا الله بالعمل لها، ونذرنا أنفسنا لتحقيقها.

عن جبير بن نفير عن أبيه قالَ: جلسنا إلى المقداد بن الأسود رضي الله عنه يومًا فمرَّ به

رجل. فقالَ: طوبى لهاتين العينين اللتين رأتا رسول الله ﷺ؛ والله! لودِدنا أنا رأينا ما رأيت، وشهدنا ما شهدت؛ فاستمعت - أي نفير - فجعلت أعجب! ما قالَ إلاّ خيرًا. ثمّ أقبل عليه المقداد فقالَ: ما يحمل أحدَكم على أن يتمنى محضَرًا غيّبه الله عزّ وجلّ عنه، لا يدري لو شهده كيف كان يكون فيه. والله! لقد حضر رسولَ الله ﷺ أقوامٌ - كبَّهم الله عزّ وجل على مناخرهم في جهنم - لم يجيبوه ولم يصدِّقوه، أو لا تحمدون الله إذ أخرجكم الله عزّ وجلّ لا تعرفون إلا ربكم مصدقين بما جاء به نبيكم ﷺ وقد كُفيتم البلاءَ بغيركم؟. والله! لقد بعث النبي ﷺ على أشدّ حال بعث عليه نبي من الأنبياءِ في فترة وجاهلية ما يرون دينًا أفضل من عبادة الأوثان. فجاء بفرقان فرَّق به بين الحق والباطل، وفرَّق بين الوالد وولده، حتى إن الرجل ليرى والده أو ولده أو أخاه كافرًا وقد فتح الله تعالى قفل قلبه للإيمان؛ ليعلم أنه قد هلك من دخل النار فلا تقرُّ عينه وهو يعلم أن حميمه في النار: وإنها للتي قالَ الله عزّ وجلّ: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ [الفرقان: ٧٤]. [أخرجه أبو نعيم في الحلية، والطبراني بأسانيد في أحدها يحيى بن صالح وثقه الذهبي وبقية رجاله رجال الصحيح].

وعن أنس رضي الله عنه قالَ: قالَ رسول الله ﷺ: «**لقد أُوذيت في الله وما يؤذى أحد، وأُخفت في الله وما يخاف أحد، ولقد أتت عليّ ثلاثون من بين يوم وليلة وما لي ولبلال ما يأكله ذو كبد، إلاّ ما يواري إبْط بلال**». [أخرجه أحمد وابن حبان في صحيحه، والترمذي وقالَ: هذا حديث حسن صحيح].

وعن عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه قالَ: جاءت قريش إلى أبي طالب فقالوا: يا أبا طالب! إن ابن أخيك يأتينا في أفنيتنا وفي نادينا فيسمعَنا ما يؤذينا به، فإن رأيت أن تكفَّه عنا فافعل. فقالَ لي: يا عقيل! التمس لي ابن عمك فأخرجته من كِبس [بيت صغير] من أكباس أبي طالب. فأقبل يمشي معي يطلب الفيء يمشي فيه فلا يقدر عليه حتى انتهى إلى أبي طالب. فقالَ له أبو طالب: يا ابن أخي: واللهِ! ما علمت أن كنت لي لمطاعًا، وقد جاء قومك يزعمون أنك تأتيهم في كعبتهم وفي ناديهم تُسمعهم ما يؤذيهم، فإن رأيت أن تكفَّ عنهم. فحلَّق ﷺ ببصره إلى السماءِ فقالَ: «**والله! ما أنا بأقدر أن أدع ما بُعثت به من أن يشعل أحدكم من هذه الشمس شعلة من نار**». فقالَ أبو طالب: والله ما كذب ابن أخي قط ارجعوا راشدين. [الطبراني وأبو يعلى ورجال أبي يعلى رجال الصحيح].

وعند البيهقي أن أبا طالب قالَ له ﷺ: يا ابن أخي! إن قومك قد جاؤوني وقالوا كذا وكذا

فأبقِ عليَّ وعلى نفسك، ولا تحمِّلني من الأمر ما لا أُطيق أنا ولا أنت، فاكفف عن قومك ما يكرهون من قولك. فظنَّ رسول الله ﷺ أن قد بدا لعمه فيه، وأنه خاذله ومسلِّمه وأنه ضعف عن القيام معه. فقالَ رسول الله ﷺ **«يا عم: لو وُضعت الشمس في يميني والقمر في يساري ما تركت هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك في طلبه»**؛ ثمّ استعبر رسول الله ﷺ فبكى. فلما ولَّى قالَ له - حين رأى ما بلغ الأمر برسول الله ﷺ: يا ابن أخي! فأقبل عليه ﷺ فقالَ: امضِ على أمرك وافعل ما أحببت، فواللهِ لا أسلمك لشيء أبدًا.

وأما ما لقيه ﷺ بعد وفاة عمه أبي طالب، فقد روى عبد الله بن جعفر رضي الله عنهم قالَ: لما مات أبو طالب عرض لرسول الله ﷺ سفيه من سفهاء قريش فألقى عليه ترابًا فرجع إلى بيته فأتت امرأة من بناته تمسح عن وجهه التراب وتبكي فجعل يقول: أي بنية! لا تبكي، فإن الله مانعٌ أباك. ويقول ﷺ ما بين ذلك: **«ما نالت قريش شيئًا أكرهه حتى مات أبو طالب ثمّ شرعوا»** [أخرجه البيهقي]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قالَ: قالَ لما مات أبو طالب تجهَّموا بالنبي ﷺ فقالَ: **«يا عم! ما أسرع ما وجدتُ فقدك» [أخرجه أبو نعيم في الحلية].**

ثمّ توالى الصدُّ والنفور في وجهه الكريم ﷺ. فللطبراني عن مَنبِت الأزدي قالَ: رأيت رسول الله ﷺ في الجاهلية وهو يقول: **«يا أيها النّاس! قولوا لا إله إلاّ الله تفلحوا»**. فمنهم من تفل في وجهه، ومنهم من حثا عليه التراب، ومنهم من سبَّه حتى انتصف النهار. فأقبلت جارية بِعُس [أي قدح كبير] من ماء فغسل وجهه ويديه وقالَ: **«يا بنية! لا تخشَي على أبيك غيلة ولا ذلة»**. فقلت: من هذه؟ قالوا: زينب بنت رسول الله ﷺ».

وعن عروة رضي الله عنه قالَ: سألت ابن العاص رضي الله عنه فقلت: أخبرني بأشدِّ شيء صنعه المشركون برسول الله ﷺ. قالَ: بينما النبي ﷺ يصلي في حِجْر الكعبة؛ إذ أقبل عليه عقبة بن أبي مُعَيط فوضع ثوبه على عنقه فخنقه خنقًا شديدًا، فأقبل أبو بكر رضي الله عنه حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي ﷺ وقالَ: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [سورة المؤمن: ٢٨ والحديث للبخاري].

وأخرج أبو يعلى عن أنس بن مالك رضي الله عنه قالَ: لقد ضربوا رسول الله ﷺ مرة حتى غُشي عليه، فقام أبو بكر رضي الله عنه فجعل ينادي: ويلكم! أتقتلون رجلًا أن يقول ربي الله، فقالوا: من هذا ؟ فقالوا: أبو بكر المجنون، فتركوا الرسول ﷺ وأقبلوا على أبي بكر [رجاله رجال

الصحيح، وأخرجه الحاكم أيضًا وقالَ: صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه].

وعن موقف أبي بكر هذا يحدثنا الإمام عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فيما رواه محمّد بن عقيل عن علي رضي الله عنه أنه خطبهم فقالَ: يا أيها النّاس: من أشجع النّاس؟ فقالوا: أنت يا أمير المؤمنين! فقالَ أما إني ما بارزني أحد إلاّ انتصفت منه، ولكن هو أبو بكر رضي الله عنه ؛ إنا جعلنا لرسول الله ﷺ عريشًا - يعني في غزوة بدر الكبرى - فقلنا: من يكون مع رسول الله ﷺ لئلا يهوي إليه أحد من المشركين؟ فوا لله! ما دنا منا أحد إلاّ أبو بكر رضي الله عنه شاهرًا بالسيف على رأس رسول الله ﷺ لا يهوي إليه أحد إلاّ أهوى إليه؛ فهذا أشجع النّاس. قالَ: ولقد رأيت رسول الله ﷺ وأخذته قريش، فهذا يحادُّه وهذا يتلتله ويقولون: أنت جعلت الآلهة إلهًا واحدًا، فوالله! ما دنا منا أحد إلاّ أبو بكر يضرب هذا ويجاهد هذا ويتلتل هذا وهو يقول: ويلكم! أتقتلون رجلًا أن يقول ربي الله؟ ثمّ رفع عليّ رضي الله عنه بردة كانت عليه فبكى حتى اخضلَّت لِحيته ثمّ قالَ: أنشدكم الله! أمؤمن آل فرعون خيرٌ أم هو؟ فسكت القوم. فقالَ علي رضي الله عنه: فوالله! لساعة من أبي بكر خير من ملء الأرض من مؤمن آل فرعون، ذاك رجل يكتم إيمانه وهذا رجل أعلن إيمانه. [أخرجه البزار وقالَ: لا نعرفه يروى إلاّ من هذا الوجه].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قالَ: (بينا رسول الله ﷺ في المسجد وأبو جهل بن هشام وشيبة وعتبة ابنا ربيعة وعُقبة بن أبي معيط وأمية بن خلف ورجلان آخران كانوا سبعة وهم في الحِجر ورسول الله ﷺ يصلي، فلما سجد أطال السجود. فقالَ أبو جهل: أيكم يأتي جزور بني فلان فيأتينا بفَرْثها فنكفؤه على محمّد، فانطلق أشقاهم عقبة بن أبي معيط فأتى به فألقاه على كتفيه ورسول الله ﷺ ساجد، قالَ ابن مسعود: وأنا قائم لا أستطيع أن أتكلم ليس عندي منعة تمنعني. فأنا أذهب؛ إذ سمِعتْ فاطمة بنت رسول الله ﷺ فأقبلت حتى ألقت ذلك عن عاتقه ثمّ استقبلت قريشًا تسبهم فلم يرجعوا إليها شيئًا) [أخرجه البزار والطبراني قالَ الهيثمي: وفيه: الأجْلَح بن عبد الله الكِندي وهو ثقة عند ابن معين وغيره، وأخرجه أيضًا أبو نعيم في دلائل النبوة) ص٩٠ نحو رواية البزار والطبراني. وأخرجه أيضًا الشيخان والترمذي وغيرهم باختصار قصةِ أبي البختري] وفي ألفاظ الصحيح: أنهم لما فعلوا ذلك ضحكوا حتى جعل يميل بعضهم إلى بعض، أي من شدة الضحك.

وعن ربيعة بن عُبيد الدِيلي قالَ: ما أسمعكم تقولون إن قريشًا كانت تنال من رسول الله ﷺ ، فإني أكثر ما رأيت أن منزله كان بين منزل أبي لهب وعُقبة بن أبي مُعَيط؛ وكان يتقلب إلى بيته

فيجد الأرحام والدماء والأنحات [الرديء من كل شيء] قد نصبت على بابه فيُنحِّي ذلك بسِيَة قوسه ويقول: «**بئس الجوار هذا يا معشر قريش**». [أخرجه الطبراني في الأوسط].

وعن عروة بن الزبير رضي الله عنهما قالَ: ومات أبو طالب وازداد البلاء على رسول الله ﷺ شدة فعمِد إلى ثقيف يرجو أن يؤووه وينصروه، فوجد ثلاثة نفر منهم سادة ثقيف وهم إخوة: عبد يا ليل بن عمرو وخُبيب بن عمرو ومسعود بن عمرو ؛ فعرض عليهم نفسه وشكا إليهم البلاء وما انتهك قومه منه. فقالَ أحدهم أنا أسرق ثياب الكعبة إن كان الله بعثك بشيء قط، وقالَ الآخر: والله! لا أكلمك بعد مجلسك هذا كلمة واحدة أبدًا، لئن كنت رسولًا لأنت أعظم شرفًا وحقًّا من أن أكلمك. وقالَ الآخر: أعَجَزَ الله أن يرسل غيرك؟ وأفشَوا ذلك في ثقيف الذي قالَ لهم، واجتمعوا يستهزئون برسول الله ﷺ وقعدوا له صفين على طريقه، فأخذوا بأيديهم الحجارة فجعل لا يرفع رجله ولا يضعها إلاّ رضخوها بالحجارة وهم في ذلك يستهزئون ويسخرون. فلما خلص من صفَّيْهم وقدماه تسيلان الدماء عمد إلى حائط من كرومهم، فأتى ظل حُبْلة من الكرم فجلس في أصلها مكروبًا موجعًا تسيل قدماه الدماء فإذا في الكرم عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة، فلما أبصرهما كره أن يأتيهما لما يعلم من عداوتهما لله ولرسوله وبه الذي به، فأرسلا إليه غلامًا عدَّاسًا بعنب وهو نصراني من أهل نِينوى. فلما أتاه وضع العنب بين يديه فقالَ رسول الله ﷺ: «**بسم الله**»، فعجب عداس، فقالَ له رسول الله ﷺ: «**من أي أرض أنت يا عدّاس؟**» قالَ أنا من أهل نينوى. فقالَ النبي ﷺ: «**من أهل مدينة الرجل الصالح يونس بن متَّى؟**» فقالَ له عداس: وما يدريك مَنْ يونس بن متَّى؟ فأخبره رسول الله ﷺ من شأن يونس ما عرف، وكان رسول الله ﷺ لا يحقر أحدًا، يبلِّغه رسالات الله تعالى. فقالَ عداس: يا رسول الله! أخبرني خبر يونس بن متَّى. فلما أخبره رسول الله ﷺ من شأن يونس بن متَّى ما أُوحي إليه من شأنه خرّ ساجدًا للرسول ﷺ، ثمّ جعل يقبل قدميه وهما تسيلان الدماء. فلما أبصر عتبة وأخوه شيبة ما فعل غلامهما سكتا. فلما أتاهما قالا له: ما شأنك سجدت لمحمّد وقبلت قدميه ولم نرك فعلت هذا بأحد منا. قالَ: هذا رجل صالح حدثني عن أشياء عرفتها من شأن رسول بعثه الله تعالى إلينا يُدعى يونس بن متَّى، فأخبرني أنه رسول الله، فضحكا وقالا: لا يفتنْك عن نصرانيتك، إنه رجل يَخدع، ثمّ رجع رسول الله ﷺ إلى مكة). [أخرجه أبو نعيم في الدلائل].

وعن موسى بن عقبة قالَ: وقعد له أهل الطائف صفَّيْن على طريقه، فلما مرّ جعلوا لا يرفع رجليه ولا يضعهما إلا رضخوهما بالحجارة حتى أدمَوه فخلَص منهم وهما يسيلان الدماء. وفيما

ذكر ابن إسحاق: فقام رسول الله ﷺ من عندهم وقد يئس من خير ثقيف، وقد قالَ لهم - فيما ذُكر لي - إن فعلتم ما فعلتم فاكتموا عليَّ وكره رسول الله ﷺ أن يبلغ قومه عنه فيُذْئِرهم [يجرؤهم ويغريهم] ذلك عليه. فلم يفعلوا وأغروا به سفاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه النّاس وألجؤوه إلى حائط لعتبة بن ربيعة وشيبة ابن ربيعة وهما فيه، ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه. فَعمِد إلى ظل حُبْلة من عنب فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران إليه ويريان ما يلقى من سفهاء أهل الطائف، وقد لقي رسول الله ﷺ - فيما ذكر لي - المرأة التي من بني جمح، فقالَ لها: ماذا لقينا من أحمائك!.

وعن عروة أن عائشة رضي الله عنها زوجَ النبي ﷺ حدثته أنها قالت للنبي ﷺ: هل أتى عليكَ يوم كان أشد عليك من يوم أحد؟ قالَ صلى الله عليه وسلم: لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم عرضت نفسي على ابن عبد يا ليل بن عبد كُلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلاّ وأنا بقَرْن الثعالب [موضع قريب من مكة] فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلَّتني، فنظرت فإذا فيها جبرائيل عليه السلام فناداني فقالَ: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردُّوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فما شئت؟ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين. فقالَ النبي ﷺ: «**بل أرجو أن يُخرج الله عزّ وجلّ من أصلابهم من يعبد الله عزّ وجلّ وحده لا يشرك به شيئًا**». [أخرجه البخاري ومسلم والنسائي]

فلما اطمأن ﷺ قالَ دعاءه المشهور: «**اللهم! إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على النّاس، يا أرحم الراحمين! أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني؟ أم إلى عدو ملكتَه أمري؟ إن لم يكن بك غضب عليَّ فلا أبالي، ولكنَّ عافيتك هيِ أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بي غضبُك، أو يَحِلَّ عليَّ سَخطُك، لك العُتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلاّ بك**».

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قالَ أبو بكر: لو رأيتِني ورسول الله ﷺ إذ صعدنا الغار. فأما قدما رسول الله ﷺ فتقطّرتا دمًا. وأما قدماي فعادت كأنها صَفْوان [الحجر الصلد الذي لا ينبت] قالت عائشة رضي الله عنها: إن رسول الله ﷺ لم يتعوَّد الحِفية) [أخرجه ابن مردويه، كذا في كنز العمال].

هذا بعض ما لقي رسول الله ﷺ من قومه، أما صحبه الكرام فإنهم قد لقوا ما لقوا من العذاب والأذى.■

دعم عربي لـ(إسرائيل) وخذلان لأهل غزة

في الوقت الذي كان فيه الجيش الصهيوني يرتكب المجازر اليومية والحصار الغاشم والتجويع الممنهج والإبادة الجماعية بحق المدنيين الأبرياء في القطاع، كانت بعض الأنظمة العربية غير المسؤولة تدعم (إسرائيل) وجيشها سرًّا بإمدادات المواد الغذائية التي تعاني نقصًا حادًّا فيها، ثم تعلن هذه الأنظمة أنها عاجزة عن إغاثة غزة بالمساعدات الغذائية والأدوية، وتطالب المجتمع الدولي بالوقوف في وجه (إسرائيل) ومنع الإبادة الجماعية وفك الحصار وإغاثة المظلومين. وأصبح الدعم العربي لـ(إسرائيل) حقيقة لا تقبل التشكيك، وزادت تعمّقًا بعد إصدار وزارة الصحة (الإسرائيلية) قرارًا بوقف استيراد الفواكه والخضراوات من الأردن؛ وذلك بسبب اكتشاف جرثومة الكوليرا بمياه نهر اليرموك وفي المنتجات الزراعية المستوردة من هناك. هذا ما رسّخ تصديق تلك الأخبار عن الدعم العربي لـ(إسرائيل) في وقت العدوان، وافتضح أمر تلك الأنظمة التي تدعم (إسرائيل) في السرّ وتخذل غزة في العلن.

وفي تقرير لمعهد السلام لاتفاقيات أبراهام، وهو منظمة مؤيدة لـ(إسرائيل) مقرها الولايات المتحدة، أشاد بقوة الدعم التجاري من بعض الدول العربية لـ(إسرائيل) منذ بدء الحرب على غزة. وقال إن صادرات الدول «الغربية» إلى (إسرائيل) انخفضت بنسبة ١٨٪ في الأشهر الثلاثة الأخيرة من عام ٢٠٢٣م؛ لكن صادرات الدول «العربية» انخفضت بنسبة ٤٪ فقط. وبحسب التقرير، ارتفعت صادرات مصر لـ(إسرائيل) بنسبة ١٦٨٪، وتضاعفت واردات (إسرائيل) من المغرب بأكثر ٢٠٠٪ منذ بدء العدوان على غزة. ومؤخرًا، كشفت بيانات المكتب المركزي للإحصاء (الإسرائيلي) عن صادرات مصر والإمارات والأردن والمغرب لدولة الكيان بالتزامن مع عدوانها على غزة؛ حيث بلغت قيمة الصادرات من مصر إلى (إسرائيل) في شهر مايو/ أيار الماضي فقط نحو ٢٥ مليون دولار، وخلال الأشهر الخمسة الأولى من هذا العام بلغت من الإمارات نحو ١,٢ مليار دولار، والأردن نحو ١٢٩,١ مليون دولار، والمغرب ٧,٤ ملايين دولار. وأكد موقع واللا العبري إنشاء الإمارات جسرًا بريًا عبر السعودية والأردن وصولًا إلى ميناء حيفا بطول ٢٠٠٠ كيلومتر يحمل شحنات تجارية لإجهاض محاولات الحوثي حصار (إسرائيل) لوقف عدوانها على غزة.

حتى نقف على حجم الدعم والخدمات التي تقدمها بعض الحكومات العربية غير المسؤولة لـ(إسرائيل)، في ظل تكتم الحكومة (الإسرائيلية) الشديد على المعلومات التي تتصل بتداعيات الحرب على الداخل (الإسرائيلي)، نشرت صحيفة (تايمز أوف إسرائيل- إبريل/ نيسان الماضي) مقالًا خطيرًا بعنوان «منظمات الإغاثة (الإسرائيلية) تتدخل قبل عيد الفصح لعلاج أزمة الغذاء بسبب تداعيات الحرب»، ويكشف المقال معاناة (الإسرائيليين) من شحٍّ الغذاء وارتفاع الأسعار بعد هجوم المقاومة الفلسطينية على مستوطنات غلاف غزة. تقول الصحيفة إن هجوم «حماس» تسبَّب في شلل الزراعة في إسرائيل، وكشفت الصحيفة لأول مرة عن خسارة قطاع الزراعة في (إسرائيل) في السابع من أكتوبر ما يقرب من ٤٠٪ من قوتها العاملة، و٣٠٪ من أراضي (إسرائيل) الزراعية، عندما أصبح المركز الزراعي في البلاد (تقصد غلاف غزة) منطقة للحرب وللموت والدمار الشامل. يقع حوالى ٢٠٪ من الأراضي الزراعية في (إسرائيل) في غلاف غزة. ووفقًا لمقال نشر في صحيفة غلوبس في منتصف أكتوبر/

تشرين الأول نقلًا عن رئيس اتحاد المزارعين الإسرائيليين، فإن ٧٥٪ من الخضراوات المستهلكة في (إسرائيل) و٢٠٪ من الفاكهة و٦,٥٪ من الحليب تأتي من منطقة غلاف غزة، وتوقفت جميعها عن الإنتاج بعد السابع من أكتوبر. **كل هذه الخسائر كانت يمكن أن تثني نتنياهو عن الاستمرار في تدمير غزة وقتل المدنيين لولا دعم الحكومات العربية غير المسؤولة في توفير الأغذية البديلة.** في الوقت نفسه، تحتوي المنطقة المحتلة في شمال (إسرائيل)، والتي وقعت تحت هجمات حزب الله الصاروخية في لبنان، على ثلث الأراضي الزراعية في الكيان، وفقًا لوزارة الزراعة والتنمية الريفية في (إسرائيل)، وتوفر منطقتا الجليل والجولان نحو ٧٣٪ من الإنتاج المحلي من البيض والدجاج. وهذا الإنتاج توقف أيضًا، **وكان يمكن أن يكون زاجرًا إضافيًا لنتنياهو لوقف الحرب، لولا الدعم العربي غير المسؤول.** أما المزارع التي لم تتضرر بنيتها التحتية أو تُدمَّر، فتوقفت تقريبًا عن الإنتاج بسبب نقص العمالة المتاحة، فقد فرَّ نحو ١٠ آلاف عامل أجنبي من البلاد بعد السابع من أكتوبر، ولم يعد يُسمح لعشرين ألف عامل فلسطيني بدخول (إسرائيل)، وفقًا لبيانات وزارة الزراعة والتنمية الريفية؛ ما يعني أن الإنتاج الزراعي أصبح شبه متوقف في فيها، وهي معلومات خطيرة، نادرًا ما تنشرها وسائل إعلام (إسرائيلية). **وهي تكشف مدى تضرر الأمن الغذائي في داخل (إسرائيل) بسبب الحرب، وإمكانية توقفها لولا دعم تلك الحكومات العربية غير المسؤولة.** ومع سماح الحكومة المصرية بتصدير الخضراوات والفاكهة لـ(إسرائيل)، يعاني المواطن المصري من غلاء أسعار الغذاء، وقال الرئيس عبد الفتاح السيسي إن مصر تحتاج إلى مليار دولار شهريًا لاستيراد المواد الغذائية الأساسية، وأعلن البنك الدولي أن أسعار الغذاء في مصر التي تستورد ٦٥٪ من احتياجاتها الغذائية هي الأعلى على مستوى العالم منذ منتصف العام الماضي. والإمارات التي دشنت جسرًا بريًا لإمداد إسرائيل بالمؤن الغذائية في وقت الحرب على غزة تستورد أكثر من ٩٠٪ من احتياجاتها الغذائية، وفق وزارة الزراعة الأميركية في سنة ٢٠٢٤م. والأردن ليس من الدول الغنية التي لديها فائض في الأغذية، وقد صنفتها منظمة التجارة العالمية في سنة ٢٠٢٢م دولةً تعاني من العجز الغذائي، فهي تستورد نحو ٧٠٪ من احتياجاتها من المواد الغذائية الأساسية، وفق معهد كارنيغي، ٢٠٢١م، واستوردت منتجات بلغت قيمتها ٢,٧ مليار دولار، وفق تقرير وزارة الزراعة الأميركية في سنة ٢٠٢٢م. فلماذا تغامر الحكومة بدعم (إسرائيل) على حساب المواطن لديها؟.! ورغم أن خسائر (إسرائيل) بسبب الحرب لا تقارن بما يعانيه الأطفال والنساء و٢,٣ مليون مدني في غزة من القتل بالتجويع تارة وبالقصف تارة، تجتهد الحكومات العربية غير المسؤولة في تعويض (إسرائيل وجيشها بما يفتقدانه من مؤن غذائية وتدعي العجز عن إغاثة المظلومين في غزة.

الوعي: إن تزويد حكومات عربية إسرائيل بالأغذية هو دعم لا يمكن تبريره، وتواطؤ ومشاركة في العدوان، وخيانة للمظلومين في غزة، «**وهي تكشف مدى تضرر الأمن الغذائي في داخل (إسرائيل) بسبب الحرب، وإمكانية توقفها لولا دعم تلك الحكومات العربية غير المسؤولة**».